☆☆☆



ريب في ان قراء « الاديب » وانصارها الكثيرين ، سواء منهم من كانوا في لبنان ، او في الاقطار العربية والمهاجر ، قد عرفوا ما تعانيه مجلتهم في جهادها الادبي من ازمة متعاظمة في بلد لا يفتأ المسؤولون من رجالنا يتغنون فيه برعايتهم للقيم الروحية والفكرية .

والحق انه ليس ادعى الى الضحك ، بل الى الاشفاق والرثاء ، من هذه الاسطورة التي يهول بها هؤلاء المسؤولون ، امام البلدان العربية والاجنبية ، ليحجبوا ما تخفي وراءها من كفر بالقيم الروحية والفكرية ، وتهافت على كل ما عداها وتشجيع للسطحي والرخيص والتافه . .فبينا تبذل الرعاية والمساعدة بسخاء للمظاهر الكاذبة ، وترصد الاموال الطائلة للحفلات والمآدب ، وتعطى المنح الكبيرة للوصوليين والمرتزقين والمهرجين . يحرم رجال الفكر في هذا البلد من كل عطف ، ويهمل الكتاب العربي كل اهمال ، ويضن على مجلة كالاديب حتى باشتراك واحد في وزارة المعارف ، وهي المجلة التي تساهم بقسط موفور في تثقيف الجيل الطالع وتعهد ذوقه الادبي وتوجيهه نحو مبادىء الوطنية والحرية ، وتتجاهل وزارة الخارجية وجودها وهي المجلة التي تتلاقى على صفحاتها اقلام الادباء الاعلام من كل قطر عربي ، والتي تجمع حول اسم لبنان النخبة الواعية من شباب العرب .

ويؤسفنا ان نقول ان هذا الاهمال من جانب المسؤولين الذين كان ينتظر منهم قبل غيرهم العمل على تشجيع الفكر والتمييز بين الصحيح والزائف من المثل والقيم ، يرافقه انحطاط عام في مستوى القارىء العربي الذي افسدت ذوقه وشوهت تفكيره الصحف الخفيفة المصورة ، فبات يقبل على الادب السطحي التافه ويهمل الادب العميق الذي يحمل له الفائدة ولا يخلو مع ذلك من المتعة . .

وقد كان لهذا وذاك ، ولغيرهما من العوامل ، كارتفاع مستوى المعيشة واجور اليد العاملة والمواد الاولية في لبنان ارتفاعاً كبيراً بالنسبة الى ما هو عليه في مصر مثلاً والصعوبات الناشئة عن اختلاف أسعار النقد في لبنان عنه في الاقطار الاخرى ، أثر كبير في هذه الازمة المادية المتعاظمة التي تعانيها « الاديب » والتي لم تستطع مع ذلك ان تؤثر في مستواها الادبي وفي امانتها للرسالة التي تؤديها ، وان كانت قد استطاعت ان تسد امامها طريق التقدم والتطور لبلوغ المستوى الذي كنا نطمح برفعها اليه . .

اننا نعرض هذه الحقيقة المرة لقراء « الاديب » وانصارها وليس في نيتنا ان نطلب منهم القيام بتضحيات جسيمة في سبيلها . ان كل ما نريده من هؤلاء القراء والانصار الذين نثق كل الثقة بما يحملونه لمجلتهم من محبة ، وما يخالجهم نحوها من عطف وغيرة وحماسة ، هو ان يضع كل واحد منهم بين اهدافه الادبية والقومية هدفاً جديداً يسعى اليه ويعمل من اجله وهو ايجاد مشتركين جدد لمجلة « الاديب » ، وان يحرص كل واحد من هؤلاء المشتركين على ان لا يعير نسخة من المجلة لمن يستطيع شراءها او الاشتراك بها ، مذكراً اياه بواجبه في مساعدة المشاريع الادبية والقومية بدلا من الاستفادة منها والاستمتاع بها دون اية مشاركة في حياتها المادية التي هي قوام حياتها الفكرية .

بمثل هذا الروح يحيا الادب التوجيهي والفكر الرفيع .

وبمثل هذه الروح تظهر « الاديب » على ازمتها وتبلغ المستوى الذي تطمح اليه .

الاديب

طريق الحكم

بقلم رياض طه

ما عرف التاريخ — مذ كان التاريخ — ظالماً لم يقع في شراك ظلمه، ولا ذكر حاكماً لم يجن عليه جور حكمه.

وما تآمر على حياة الشعوب متآمر، وقامر بمصالحها مقامر، الا وكانت مؤامرته وبالا على محط مصيره، ومقامرته حبالا تشد به الى الهاوية من عرشه أو سريره!

ان تاريخ الامم كان، ولما يزل، هدأة بين مد وجزر وجزر ومد، والربان الماهر هو من يجنب السفينة مغبة غضبات الرياح وزئير العواصف. أما الربان المستهتر العابث فان منيته أو مصيبته لتكمن له، أبداً ودائماً، وراء كل وثبة من وثبات اليم المائج، أو تترصده على كف كل صفعة من صفعات الاعصار الهائج.

ويوم تلمس الناس طريقهم الى الائتمار برئيس والطاعة لحاكم، لم يسيروا في تلك الطريق الى عبوديتهم أو ارهاقهم، ولم ينشدوا ذلهم او عارهم، وانما كانت غايتهم — كل غايتهم — أن ينعموا بالعدل والنظام وأن يرتعوا بالوفر والطمأنينة، ثقة منهم بعقل الرئيس، وضمير الحاكم، وثقة منهم بادراكهما نهاية الخسيس، ومصير الظالم.

العجز مركب وطيء، والظلم مركب أوطأ، واوطأ من هذا وذاك وقوع العاجز في مستقر عجزه، وسقوط الظالم لدى دفعه او هزه.

لقد تعود الناس القول «ان الدنيا مع الواقف»، وتعود بعضهم الترديد:

ان نصف الناس أعداء لمن ولي الاحكام، هذا ان عدل

ولكن الحقيقة تعودت دائماً ان تقول ان الحكم ليس تنعماً بخيرات، وليس تمتعاً بجاه ونفوذ، وانما هو رسالة جليلة دقيقة، ينوء كل من يتولى عبئها، اذا لم يستقو براجح عقله، ولم يتسلح بنقي ضميره. وان الحكم هو — قبل اي شيء — بصيرة وبصيرة، وتدارك وادراك. فاذا والى الناس حاكماً لانه الحاكم، رغبة أو رهبة، فانما موالاتهم هذه لا تفيده، في كثير او قليل، لانها لا تنبثق من قوة النفس بل من ضعفها، وهي — بالتالي — ليست في يد الحاكم سلاح قوي بل سلاح ضعيف. ومن يبارك الواقف عندما يقف هو أول من يلعنه عندما يقع.

والضعيف الضعيف هو من يعتمد نصرة ناصر لا ينصره الا وهو في رفعته، ولا يلقاه الا وهو في قمته.

ألا ان ارادة الشعب هي الارادة التي تسود، مهما كبلتها يد البغي بالاغلال والقيود. وان الشعب، ما دامت فيه حياة، هو الذي يحكم في وعي الحاكم، ويأمر وينهى في عقل الباني والهادم.

وان أمة كتب لها الفناء هي أمة لا يأبه فيها الراعي لمشيئة رعيته، ولا يرتد فيها القطيع عن اقتحام مورد منيته.

ويوم لا يكون حكم الشعب للشعب، بارادته ولخيره، لا يكون للشعب وجود، الا اذا كان الوجود هو عد رؤوس، وصغار نفوس.

ولقد علمنا التاريخ، وهو الواسع العلم الغزير العبر، ان رؤوس الحراب كثيراً ما تعجز عن حماية المالكين، بل كثيراً ما ترد كيدهم الى نحرهم، عندما تقضي بذلك ارادة الشعب.

جون ميلتون البطل الجريح

بقلم قدري قلعجي

في معترك النضال الباسل الذي خاضه الشعب الانكليزي في النصف الاول من القرن السابع عشر دفاعاً عن حريته وحقه في الحياة، وفي غمرة الهول الذي ساد انكلترا بعد القضاء على الجمهورية القصيرة الامد التي انشأها البطل العظيم اوليفر كرومويل، ظهر على ضفاف التاميز اديب عبقري امتاز بفنه العالمي الفذ كما امتاز بوطنيته الصادقة وصلابته في الدفاع عن مبادئه السياسية وعقائده الاجتماعية، هو الشاعر جون ميلتون.

ولد ميلتون سنة ١٦٠٨ وتلقى علومه في جامعة كمبريدج، ومال الى نظم الشعر منذ حداثة سنه وتجلت موهبته الادبية اثناء رحلة قام بها الى ايطاليا وتعرف فيها بغاليله ونعم بمجلس مانسو الشيخ الذي كان صديقاً حميماً للشاعر الايطالي تاس، فروى له ذكرياته عنه وتلا عليه مقاطع كثيرة من قصائده ولا سيا ملحمته الشهيرة «انقاذ القدس».

ارهف هذا البلد الجميل شعور الشاعر الشاب وايقظ الهامه، بطبيعته الرائعة وذكرياته الغنية، وآثار ادبائه الافذاذ، وأثار عاطفته الزاخرة بحب عميق كتب له الاخفاق فيه، فانشأ ينظم القصائد الغنائية الرقيقة معبراً فيها عن انطباعاته ومعرباً عن آلام قلبه العميد.

وبعد ان تعلم الايطالية وطالع روائع الادب الايطالي، عاد الى وطنه وأخذ يدرس اللغتين السريانية والعبرية، وينظم القصائد الشائعة التي تتضوع بأعراف قلبه الكبير وتفيض بالشعور الحي العميق.

وكان يتابع خلال ذلك مجرى الحياة السياسية في وطنه، ناظراً بعطف الى نهضة الطبقات الشعبية التي اخذت تقوم مظالم الطبقة الحاكمة وتحاول ان تسترد منها حقها السليب مطالباً بتأمين الحرية الفكرية والدينية لجميع المواطنين.

وحين بلغ سن الثالثة والثلاثين تزوج ابنة ريشار بوفيل، فما كاد ينقضي على زواجه شهر واحد حتى دب النزاع بينه وبين زوجته فانطلقت هذه الى بيت ابيها لتعتصم فيه، ونظم ميلتون قصيدة هجائية انتقد فيها نظام الزواج السائد الذي يحظر الطلاق حتى بين زوجين لم تعد تجمعهما رابطة ما. غير ان الزوجة الهاربة ما لبثت ان عادت الى منزل الشاعر لتعيش في كنفه وتجعل من حياته العائلية جحيما لا يطاق.

وعندما اراد الملك شارل الاول قمع القسط الضئيل من الحرية الذي استطاع الشعب انتزاعه في ظل سلفه هنري الثامن، غضب ميلتون ونظم قصيدة بعنوان «وضع الملوك الشرعي» قال فيها ان الملك الفاسد يجب ان يعاقب على مفاسده، ومن حق الشعب ان يثور عليه ويخلعه.

ولم يقتصر انتصاره لنهضة الحرية في وطنه على هذه القصيدة الجريئة، بل تعداه الى قصائد ورسائل كثيرة كان لها اثرها الكبير في اذكاء الشعور بالحرية والاستماتة في سبيلها. فما كادت الثورة التي اعلنها الشعب الناقم بقيادة اوليفر كرومويل، تنتهي بخلع شارل الاول، وتولي القائد الكبير رئاسة الجمهورية التي انشأها حتى جعله كرومويل اميناً له، فكان من رجال العهد الجمهوري البارزين ومن ابطاله الميامين، وبلغ من تمسكه بعقائده انه ما كاد يلمس في كرومويل رغبة الاستئثار بالحكم، حتى تخلى عنه وكان بصره يضعف شيئاً فشيئاً، فتذرع بهذه الحجة

للاعتزال في منزله بالريف .

ثم مات كرومويل فأشفق على البناء الذي انشأه القائد الثائر ان يتهدم ، وعلى الجهد الذي بذله الشعب الانكليزي ان يتبدد والدم الذي سفكه ان يضيع . وطفق يرسل صيحات حارة محاولا ايقاف الردة التي كانت توشك ان تقود بوطنه الى النظام الملكي ولكن عبثاً كان يحاول ، فان شارل الثاني ما عتم ان تولى العرش فتنفس الملكيون الصعداء واخذوا ينتقمون من خصومهم بوحشية ، حتى انهم نبشوا قبر كرومويل واخرجوا هيكله العظمي وصلبوه ثلاثة ايام كاملة .

اما ميلتون فقد انتزع من منزله والقي في غيابة السجن ، غير ان شاعراً يدعى دافنان من انصار الملكية ، كان يحب ميلتون ويحفظ له جميلا كان قد صنعه معه في العهد القديم ، فعمل على انقاذه من المشنقة التي كانت تنتظره ، واستطاع اطلاق سراحه . فغادر الشاعر الكبير السجن الى منزله ليعتزل فيه هذه المرة عزلة تامة .

والقى النسيان ستاره المظلم على جون ميلتون ، فعاش في صمت وعزلة وفقر مدقع وعمل متواصل انجز به معجماً لاتينياً ، وتاريخاً لانكلترا قبل الفتح النورماندي ، وكتاباً في المنطق وضعه على اساس مبادىء لارامه .

وخلال قيامه بهذه الاعمال المرهقة كانت الاعوام تمر .

لقد كان الشاعر الذي رأى بعينيه انهيار وطنه ومبادئه وثروته ، يعيش في غرفة بائسة مجهولة اختارها بتمام فيما بعد مسكناً له لشدة اعجابه بالاديب العظيم ، وقد وصفها الدكتور فريغت بقوله : « يصعد اليها المرء على سلم عليه طبقة من العشب تخنق وقع الاقدام وتؤمن السكينة لهذا الكهل في تأملاته التي لم يعد لديه من سعادة غيرها ، لان جميع اصدقائه قد ماتوا على المشنقة او في المنفى » .

وكأن تينك العينين البعيدتي الغور لم تعد تخالجها رغبة في رؤية هذا العالم ، فانطفأ بصرهما واظلمتا الى الابد .

لقد احتجبت عن عينيه الشاعرتين جميع الانوار التي يهتدي بها الانسان ويلتمس منها الدفء والحياة : نور الشمس ، ونور المجد ، ونور العقيدة والامل بالغد . ولكن هذه الانوار ظلت تسطع في قلبه وتلهمه انبل الشعر واكثره توهجاً بالحياة والدفء . اذ في غمرة الالم والبؤس ، كان جون ميلتون ينظم قصيدته الكبرى الخالدة : « الفردوس المفقود » .

وتعرض الشاعر ، على الرغم من عزلته ، الى حملة عنيفة من خصومه حتى اصبح في عيون الكثير من مواطنيه رمزاً للخيانة فهجره الجميع ولم يكن يزوره غير نفر قليل ممن عرفوه فأحبوه وقدسوه .

وسادت انكلترا يومذاك فترة رهيبة من الظلم والارهاب . وانغمس الملك شارل الثاني في الترف والمجون واللامبالاة ، ومن وراء الملك كانت المحظيات الفاجرات اللواتي يتدخلن في شؤون الدولة ، وكان الدوق ديورك الذي خلف شارل الثاني في الحكم باسم جاك الثاني .

كان الدوق ديورك ينطوي على حقد متقد تحت مظهر كاذب من الاناة والحلم . وقد بدا له يوماً ان يزور الشاعر ميلتون ، فارتقى درجات ذلك السلم الذي نبت عليه العشب ، واقتحم عليه عزلته ، فوجده كما وصفه الدكتور فريغت وشاتوبريان ، مرتديا ثوباً اسود ، ومستوياً على مقعد ذي ذراعين ، عاري الرأس ، ذا جبهة عريضة لم تحفرها التجاعيد ، وشعره الفضي مسترسل على كتفيه ، وفي وجهه الابيض الجليل عينان سوداون لا تزالان تلمعان ولكنهما لا تريان شيئاً .

لقد كان اجتماعاً مثيراً بين عدوين لدودين احدهما في اوج مجده وانتصاره والآخر في حضيض الشقاء . شاب في ريعان الشباب ينتظر الملك والسلطان وشيخ مشوه قد هدمته الحياة واخذت تدفع به نحو القبر . ووريث عرش بريطانيا وسليل اسرتها المالكة وشاعر



الدوق دي يورك في زيارة ميلتون

الثورة التي حطمت الملكية وقطعت رأس ملك عظيم الشأن كاثوليكي يزعم انه حامي الكثلكة في انكلترا ومفكر انتصر للبروتستانتية ودافع عن حرية التفكير .

وابتدر الدوق خصمه بقوله :

— هل تدري من يزور كوخك ايها العجوز ؟

فأجاب الشاعر بهدوء : — تحدث فاني مصغ اليك . .

فقال جاك باستعلاء :

— يا له من كوخ حقير لا يرى غير شعاع ضئيل من نور الشمس، ولكن عينيك لا تريان هذا الشعاع الضئيل . ان من حدثني عنك لم يخدعني ، ولعمري انه لقصاص عادل انزله الله بك : الشيخوخة، والبؤس ، والعمى ، واحتقار الناس . . انه قصاص خليق بك . فهو احتضار دائم في انتظار . .

وثب الشيخ من مقعده وصاح :

— من انت ؟ ولماذا تخاطبني بهذه اللهجة ؟

— لقد كنت من ضحاياك وجئت اليوم لاقاضيك .

فقال الشاعر برباطة جأش :

—اذن فقد يتاح لي اليوم ان ينتهي عذابي والحق باصدقائي النبلاء !

— بل بشركائك الاخساء !

— ولكن من انت ايها الرجل ؟ وكيف تسمح لنفسك باهانة شيخ مشرف على الموت ؟

— الم تعرف بعد ؟ الم تحزر من انا ؟

— انك من اتباع البابا ولا شك .

— بل اكثر من ذلك . انا اخو ضحيتك .

— شارل الثاني ؟ ! — الدوق ديورك !

— حسناً . فليستمتع الدوق ديورك بلذة الانتقام ، ولكني لا اعتقد بان هذا المشهد يشبع نهمه اذا لم يسفك الدم فيه .

— يا لك من عجوز حقير . اني اشاهد فيك برهاناً على عدل الرب، فقد لعنك الله واحتقرك عباده . وما انت الا شاعر لا تقابل قصائده الا بالاعراض والاهمال ، ذو رأس فارغ ، وخيال مجنون، انك مضلل كذاب، وبروتستانتي بلا فضيلة . وقد عاقبك الله لانك اهنت كنيسته الرومانية ورفعت يدك على الرجل الذي اختاره يكون ملكاً عليك ، ولكن عقابك لم ينته بعد .

— ان الدوق ديورك ينتصر اليوم ، ولكنه كريم كطاغية، فما اظلم المصير الذي ينتظر وطني الجميل عندما تتولى الحكم وكل ما ارجوه ان لا ينسى جاك الثاني ان ميلتون قد حارب الانظمة التي كانت تهين الله ، وان الملك الذي قطع رأسه انما عوقب لانه تجاهل واجباته واستبد بحقوق الناس .

— الى الملتقى ايها المتمرد والعجوز والثائر العنيد !

فأجاب ميلتون بهدوئه المعظم :

— الى الملتقى !

ومضى جاك فقال لاخيه شارل الثاني :

— لقد ابقيت على جون ميلتون . ولو كنت مكانك لقضيت عليه .

فقال الملك بما عرف عنه من عدم المبالاة :

—يكفيه ما يعاني من هموم الشيخوخة والفقر والعمى والاحتقار !

ثم ارسل شارل الثاني الى الشاعر العظيم صدقة قدرها عشر ليرات مكافأة له على قصيدته « الفردوس المفقود » ! .

وفي هذه الملحمة التي تصور جمال الفردوس وهو الجحيم، بروعة نادرة المثال ، ما هو اعظم من الجحيم والفردوس . . هنالك قلب جون ميلتون الذي يبدو من خلالها ممزقاً دامياً ، ولكنه مع ذلك فخور وصامد . ان ميلتون لا يجدف ولا يلعن او يشتم، بل ينظر الى جرحه ضاحكاً مثلما ينظر الابطال الى جراحهم التي تنزف منها الدماء .

« فالعذاب من اجل الحقيقة ،

وفي سبيل الحرية ،

هو اعظم انتصار . » .

وكان هذا القلب عزاء ، اي عزاء ، في ربة الشعر التي كانت تزوره في وحدته وتناجيه في ليله المستديم .

وكلما كانت الخمور تسيل بسخاء في قصور الامراء الذين كانوا ينتقمون بمتارفهم للساعات التي قضوها في السجون والمنافي يوم انتصر الشعب ، والدماء تبذل زكية على مذبح الحرية، كان ميلتون يتقد غضباً ويرتعش ألماً ، ويرسل من قلبه الشاعر تنهدات مكبوتة تدل على المه الدفين كما يترك الطير الجريح في طريقه بقعاً من الدم.

ان هذا القلب المليء بالشجاعة والقوة، كان يريد ان يغني حتى في المه ، لا ان يبكي وينتحب . ولكنه لم يكن ليستطيع امساك تلك التنهدات الخافتة ، تلك البقع الصغيرة من الدم !

ووضع الشاعر مأساة « شمشون » وملحمة اخرى بعنوان « الفردوس الذي وجد بعد الضياع . » .

وبعد حياة حافلة بالشقاء والعذاب ، توفي سنة ١٦٧٤ وهو في سن السادسة والستين ، دون ان يسمع كلمة ثناء على شعره الفريد الذي تعده انكلترا من مفاخرها الباقية على الدهور .

قدري قلعجي

وحي العيد

لجورج صيدح

من الرابطة الادبية الارجنتينية

القتها الآنسة عليا النقيه في حفلة نادي الشباب العربي بالارجنتين لمناسبة الاحتفاء بعيد الاضحى

حجوا جناح الله واعتصموا … يا قاضي الحاجات كن لهمو
الروح في عرفات تسعهم … ان سد آذان الورى صمم
والركن يلمس في شعائرهم … شكوى تضيق بشها الكلم
ما كان يومُ النحر يشهدهم … عرباً يطوّق نحرهم عجم
خجلين – لولا انهم خجلوا … من ربهم – عادوا وما استلموا
ان الحجيج يحثهم املٌ … غير الحجيج يحزهم الم
علم على الحرمين ذكّرهم … بالثالث الهاوي به العلم
بالمسجد الاقصى، بجيرته، … بمآتم في العيد تنتظم
بخلائق نُحرت وما صمت … ذكراً عليه ينحر الغنم
بفواجع في الدور نازلة … لم تنج من اهوالها الخيم.
حملت فلسطينَ الصدورُ الى … قبر الرسول اليه تحتكم
تستشفع الاضحى وحرمته … في موطن هانت به الحرم
في امة (للبيت) زاحفة … والغاصبون ببيتها ازدحموا..
واشد ما نامت به تهمٌ … كذبت ورب الكعبة التهم!
أثم الاولى كبحوا اعنتها … لكنها أخذت بما اثموا.
كرمى فلسطين القرى كتمت … من خطبها ما ليس ينكتم*

تلقى الغزاة وصدرها عزلٌ … والظهر في لبنان منقصم
(والحصن) للاعداء، ليس لها … الا القذائف منه والحمم
صبرت على النيران تأكلها … وعلى زعيم الشعب يلتهم..
حتى غدت كالقبر موحشة … ينعى عليها حظها الرخم
من عاد يسأل اين منزله؟ … اين الحماة؟ اجابت الرجم؟
في ذمة الحكام سيل دم … من هدره لم تبرأ الذمم
للهائمين الفارمين رأوا … ساداتهم سلموا بما غنموا

***

دنيا العروبة ادبرت ومشت … مقلوبة، في رأسها القدم
الفار يلعب في عرائنها … والليث في الاوجار معتصم
العابثون بحقنا اتحدوا … والقائمون بأمرنا انقسموا
ويح الاولى وتخوتهم نصبت … كالنطع للاعناق يحترم
حتى متى هذا الخنوع لهم … يا امة دانت لها الامم!
ردي عليهم انهم رمم … بئس الشعوب تقودها رمم!
وتودي همم الشباب فما … نفعت سواها في الوغى همم
بنيان دولتنا دعائمه … مهج تسيل على الظبى ودم
أتورّعٌ في نكبة كفرت … بالله، ولا ورع ولا شيم؟
ورؤوسنا يأبون وحدتنا … فكأنهم لعدونا خدم...
قسماً بأوطان اقدسها … ان جاز لي بالمقدس القسم
للعرب اوضاع اذا انحطمت … اضلاعُ اسرائيل تنحطم
نحن البراكين التي هدأت … والنار في الاحشاء تضطرم
سترون ان صبت صواعقها … كيف التخوت تطير واللمم
برح الخفاء ففي قضيتنا … عي اللسان واخفق القلم
فصل الخطاب السيف نمشقه … دعماً لحجتنا فتحترم
فليشهد التاريخ ان لنا … صبراً وبعد الصبر نختدم
ونكون خير الناس ان عدلوا … ونكون شر الناس ان ظلموا
يا يوم يغلي في العروق دم … ويهب للثارات منتقم
يوم الشعوب تصول صولتها … لا الحكم يمنعها ولا «الحكّم»
سنرى الدخيل يعض اصبعه … ندماً ولم يشفع به الندم
والحاكمين هوت ارائكهم … فبكوا لو اسطاع البكا صنم

***

يا عيد ذاك اليوم موعدنا … عّل به الشهداء يبتسموا
واعطف على قومي بتهنئة … بعض التهاني، للعتاب فم
لا ينصر الله العباد اذا … كرمت اصولهم وما كرموا!

* تعود الاشارة الى القرى اللبنانية الواقعة على حدود فلسطين وهي موطن اسرة الآنسة عليا النقيه، وقد نكبت باحتلال اليهود.

الحبكة الروائية لقصة الفرسان الثلاثة

للكاتب الفرنسي الكسندر دوماس

ترجمة مبارك ابراهيم

•

« ولد الكسندر دوماس في الرابع والعشرين من يوليو عام ١٨٠٢ بمدينة « اين » بفرنسا من والد فرنسي وام زنجية. وعاش السنين الاولى من حياته عيش الكفاف. ثم شق طريقه في الحياة كاتباً قد حالفه النجاح والتوفيق فأخرج للناس كثيرا من الكتب وسرعان ما أصبح من أصحاب الثراء فعاش عيشة الاسراف والبذخ حتى نفد المال وذهب الثراء. وكان له ولد. ثمرة علاقة بينه وبين « ماري كاترين لاباي » فألحقه به وسماه باسمه.

ودوماس هو الذي خلق الرواية التاريخية. وكان كاتباً ذا ميول جمهورية.

ومات دوماس في الخامس من ديسمبر عام ١٨٧٠ »

•

كان دارتانيان في فجر شبابه فتى ماجداً من فتيان « غاسقونيا ». وكان لا يملك — يوم غادر باريس — الا وصفة علاجية لها أثر عجيب في مداواة الجروح. والا حصاناً يخيل لرائيه انه قد عاصر القرون الاولى. والا كتاب توصية كتبه أبوه الى السيد « تريفيل » قائد فرسان الملك.

فلما وصل « دارتانيان » الى باريس كان قد باع الحصان. وأضاع كتاب التوصية في حادث من حوادث الشغب.

وعلى الرغم من ذلك فقد أكرم السيد « تريفيل » مثوى صاحبنا كرامة لابيه عندما ذُكر به فتذكره.

وقد خابت آمال الفتى يوم علم انه لا يستطيع أن يصبح من فوره واحداً من رجال الفرقة التي طار صيتها. وذاعت شهرتها. وهي الفرقة المعروفة بفرقة فرسان الملك.

وبينما هو قائم على خدمة ذلك السيد شتم — في ساعة نسي فيها أدب اللياقة — ثلاثة من اولئك الفرسان. فدعاه اولئك الثلاثة الى المبارزة غداة غد، في ثلاث ساعات متتابعات تبدأ من الظهر وتنتهي بانقضاء الساعة الثانية.

وأحس في قرارة نفسه انه لا بد ملاق حتفه على يد ثالث خصومه ان قدر له ان ينجو من يدي صاحبيه. ووصل « دارتانيان » الى المكان المعين. ودهش لما رأى ان اثنين من خصومه قد حضرا كشاهدين للسيد الاول الذي تحداه.

وقد أعجب الفرسان الثلاثة الاعجاب كله بشجاعة ذلك الفتى الغسقوني. واستعد الرجال الثلاثة للجولة الاولى. ولكنهم وقفوا عن المضي فيها لما جاءتهم فرقة من حرس الكردينال تنذرهم بأن أمراً عالياً قد صدر بتحريم المبارزة. فاجتذب الفرسان الثلاثة اليهم حرس الكردينال وانضم اليهم « دارتانيان » ثم قبل « اثوس وبورثوس واراميس » وهم الفرسان الثلاثة ان يكون « دارتانيان » واحداً من رجال فرقتهم.

وواضح ان هذه الاسماء التي تسمى بها اولئك الفرسان انما

هي اسماء منتحلة .

وعلى الرغم مما أصبح بين « دارتانيان » وبين الفرسان الثلاثة من ود وصحبة فقد طال به العهد قبل أن يعرف أسرار حياتهم . وكان أتوس ذا مزاج سوداوي ، يكره الناس ويبغضهم . وكان « بورثوس » شهوانياً وكان مختالا فخوراً . وكان أراميس يميل عقله الى التدين ولكنه كان –على الرغم من هذا– متدلهاً في حب غانية من رفيعات القدر والحسب .

ثم ظفر « دارتانيان » بمكان في فرقة أقل مكانة . واتخذ مأواه في شقة في بيت السيد « بوناسيه » وهو بزاز غني عجوز اعتزل التجارة وكانت امرأته الجميلة الشابة واسمها كونستانس « وصيفة » من وصيفات الملكة .

ولما كان كل واحد من اصحاب « دارتانيان » قد اتخذ لنفسه وصيفاً من الغلمان ، واختار كل واحد وصيفه ليتفق وما توحي به شخصيته . فاتخذ « اتوس » «جريمو» الصامت الذي لا ينطق . واتخذ « بورثوس » الفتى الجميل « موسكيتون » واتخذ « اراميس » الفتى المتدين « بازان » ، فقد اتخذ « دارتانيان » الفتى الذكي الجريء « بلانشه » . ولم يمض من الزمن الا قليل حتى عرف « دارتانيان » ان المنافسة بين فرسان الملك وبين حرس الكردينال قد انعكس أثرها فيما بين العظيمين من علاقات .

وكان الكردينال «ريشليو» أقوى رجل في الدولة وكان لويس الثالث عشر يكرهه ويخافه . وكان واقعاً تحت سلطانه .

وكان « ريشليو » عدواً للملكة (آن) تلك الجميلة النمسوية . وكان لا يستطيع ان يغفر لها أنها لم تبادله الهوى الذي أثارت كامنه في قلبه .

وكان معروفاً في دوائر البلاط ان « دوق بكنهام » صفي ملك الانجليز « شارل الاول » ونجيه قد أحب الملكة ايضاً .

وكان معروفاً كذلك ان الملكة على الرغم من ولائها لواجبها نحو الملك الذي كانت تجفوه وتكرهه ، كانت غير غافلة عن هوى الدوق الجميل . وكانت تميل اليه بعض الميل .

وحدث ذات يوم – وكان «دارتانيان» وحيداً في منزله – ان استرعى سمعه صوت صارخ في الشقة المجاورة يطلب المعونة والنجدة . فأمسك بسيفه وجرى فاستطاع ان ينقذ من الخطف السيدة كونستانس تلك السيدة الشابة الجميلة زوجة العجوز صاحب البيت .

وسرعان ما سحر «دارتانيان» بمفاتن تلك الجميلة سحراً مبيناً . ولما علم انها ضالعة في احدى المؤامرات الخطيرة أقام من نفسه حامياً لها ومجيراً . وأصبح وسيطاً يمهد للقاء بين « دوق بكنهام » والملكة .

وفي هذا اللقاء أهدت الملكة « آن » الى الدوق سفطاً به اثنا عشر زراً من الازرار الالماسية وقد حمله هذا الى قصره في انجلترا . ولكن « ريشليو » – وقد كان عليماً بكل ما جرى – أقنع الملك أن يأدب مأدبة ، وأن يطلب الى الملكة ان تحضر تلك المأدبة وهي متحلية بأزرارها الالماسية .

وما ان بقي اسبوع على المأدبة حتى أحست الملكة انها قد ضلت وحق عليها الهلاك .

ولكن «كونستانس » بعثت « دارتانيان » الى انجلترا وهو يحمل رسالته الى الدوق .

وصحب الفرسان الثلاثة صاحبهم . وقد توالت الهجمات على هؤلاء الاربعة . وكان نصيب الثلاثة القهر والهزيمة ولكن « دارتانيان » استطاع ان يصل الى انجلترا وأن يعود بالازرار في الوقت المناسب لكي يسلم شرف الملكة من الاذى .

وكان جزاؤه على ذلك خاتماً من الالماس أهدته

اليه الملكة وعداً حلواً باللقاء من حبيبته « كونستانس » .

ولكنه لما وصل الى مكان اللقاء تولاه الذعر والفزع اذ رأى عشيقته قد خطفت.

وكانت من بين جاسوسات الكردينال الخطيرات . بل من أشدهن خطراً فتاة جميلة شقراء اسمها «ميلادي». وهي احدى قريبات « لورد دى ونتر» فاستقر في ذهن « دارتانيان » ان هذه المرأة تعلم علم اليقين مكان عشيقته فسعى اليها عاشقاً متودداً.

وقد بلغ من سحر جمال « ميلادي » ان اصبح صاحبنا أسير هواها . ولكنه سرعان ما استيقن من فجورها وقبح سيرتها.

وعرف أثوس من خاتم أهدته هي الى « دارتانيان » الذي دخل مخدعها دخولا غير عفيف أن «ميلادي» هي تلك المرأة التي أفسدت عليه حياته. وانها تلك المرأة التي كانت زوجته الى يوم أن عرف أنها كانت بغياً، فاجرة مجرمة.

وفي هذا الموضع من القصة كانت « ميلادي » في خدمة الكردينال وكانت تتآمر على قتل دوق بكنهام.

وقد أجمع الفرسان الثلاثة ومعهم دارتانيان أمرهم على انقاذ حياة اللورد ولو انه عدو. ولو أنه من الانجليز. فبعثوا برسالة منهم الى « لورد دي ونتر » فقبض على قريبته المجرمة حتى تطرد من البلاد وتنفى.

ولكن المرأة أغوت سجانها الصغير « الملازم فلتون» ثم أقنعته بالاعتداء على الدوق. وسرعان ما مات الدوق متأثراً بجروحه.

وهربت «ميلادي» الى فرنسا . ولو أن شريكها قد قبض عليه.

واقتفى الفرسان أثر المرأة واستطاعوا آخر الامر أن يلقوا القبض عليها .

وكان القبض عليها يوم وصلت الى الدير الذي اتخذته « كونستانس » ملجأ لها، وملاذاً وكهفاً.

وملأت كونستانس كأس الفتاة بالسم . وكأن وصول « دارتانيان » الى ذلك المكان لم يكن الا ليقبل تلك العشيقة الهالكة قبلة التوديع.

وأقام الفرسان — ومعهم «دي ونتر» — من أنفسهم محكمة. وأثبتوا الجريمة على « ميلادي » وقضوا بادانتها ثم شنقوها.

وعاد الفرسان الى باريس وعين «دارتانيان» ضابطاً . واستؤنف الخصام بين الملك والكردينال.

القاهرة مبارك ابراهيم

مع سنابل الحقل

« الى الخادم البائسة التي تكدح في ذلك البيت الكبير ، المترف ، ولا تصيب لقاء كدحها ما يسد رمق أطفالها . »

☆

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

نابلس

☆

أوت الى الحقل كطيف كئيب
في روحها اللهفى اضطراب غريب
يرسو بعينيها أسى غامر
وقلق مستبهم ، حائر

غامضة ، في عمق اغوارها
صيرها شذوذ اطوارها
فيض انفعالات واحساس
دخيلة في عالم الناس

تأملت في السنبل الوادع
تكاد في سكونها الخاشع
يموج في الحقل زكياً غناه
تسمع في السنبل نبض الحياه

وفي رؤى خيالها الشارد
لاحت لعينيها يد الحاصد
منجذباً بروعة السنبل
يخفق فيها شبح المنجل

رأت رغيفاً جبلته دموع
انضاء حرمان وبؤس وجوع
دموع منكودين ، مستضعفين
هانوا على الرحمة والراحمين

رأته في كف غني بخيل
الخبز في كيانه يستحيل
سطت عليه يده الجانيه
خلجات شح كزّة قاسية !

ومدت الافكار اظلالها
من ابصر استغراقها خالها
فلم تزل شاخصة في وجوم
مخبولة تهيم فوق الغيوم

كانت تناجي ما وراء الفضاء
من يمطر الرزق على ذي الثراء
قوى القضاء الغامض المبهم :
ويمسك الرزق عن المعدم ؟ !

كم بائس ، كم جائع ، كم فقير
ومترف يلهو بدنيا الفجور
يكدح ، لا يجني سوى بؤسه
قد حصر الحياة في كأسه

أرحمة الله بعليا سماه
ويحرم المعوز قوت الحياة
تقول ان يكتظ جوف الثري؟
في عيشه المضطرب الاعسر ؟

اليس في قدرته القادرة
اليس في قوته القاهرة
ان يمسح البؤس ويمحو الشقاء!
ان يغمر الارض بعدل السماء ؟ !

وراءها صوت عميق ، مثير
لم تحبس السماء رزق الفقير
جلجل فيها مثل صوت القدر :
لكنه في الارض ظلم البشر ! .

واطرقت ، نهباً لشك مريب
في روحها اللهفى اضطراب غريب
يملأها منه أسى غامر
وقلق مستبهم ، حائر .

الادب العربي في الارجنتين

ما نحن من المتشائمين ، ولكنها الحقيقة فكيف نصدف عنها ، وان آلمت ؟ ان الادب العربي في المهاجر الاميركية صائر الى الاضمحلال ، وقد ادى مهمته فشق سبيلًا في طريقة الاداء والتفكير ، اطلت منها الضاد على آفاق لا عهد لها بها ، طليقة من البهرج المضحك والزركشة السخيفة .

ان الادب العربي المعاصر مطعّم بالادب المهجري ، والسمات التي اشتهرت عن شعراء العالم الجديد وعن كتابه قد تحولت الى فريق من ادباء الدنيا العربية . وهل سجل التاريخ قبل الآن ان جالية شادت ، وهي بعيدة عن بلادها الوف الاميال ، صرحاً شاهقاً من الادب تأثرت به الاقلام في الوطن الاصيل ؟

فاذا عرفت ان المهاجرين لم تكن لهم اية قوة سياسية تسندهم او تدافع عنهم في الملمات ، انجلت لك نواحي هذه الاعجوبة ، ولا تسمها الا اعجوبة اذا كنت من المنصفين .

ولو رحب المجال لاظهرنا الجهود الجبارة التي سفكها على عرفات الفن هؤلاء الذين تجندوا لخدمته في البلدان التي نزحوا اليها ، وحسبك منهم ان الواقع وقفهم على مفرق طريقين ، الادب مشدود اليه الفقر ، والتجارة والاثراء طيها فلم يترددوا لحظة في الاختيار ، وما كان ليزيد في سؤددنا ان يكون بيننا مائة غني اكثر ، بيد ان المائة من الادباء الذين ربحناهم اعلام هذا المجد الفكري الباذخ .

واذا كان الشهيد ، الذي يعرض عن حطام الدنيا مؤازرة للمبدأ الذي آمن به ، فلا يحفل بما يفقده في سبيله ، فان الادباء العرب — والمهاجر منهم خاصة — هم من الذين يحسن ان ترتفع لهم التماثيل في الساحات العمومية .

ان هذا الاديب ما يبرح يجاهد منذ خمسين سنة تقريباً ، مصدرا الصحف ، ناشرا الكتب ، وهدفه ان يحفظ في نفوس ابناء قومه « الروح العربية » وهو من سدنتها الامناء ، غير مبتغ على جهاده اجراً ولا شكورا .

وانه يرى الآن العوامل الغدارة تتضافر عليه لتغلبه ، ومع ذلك فهو يدافع ، وسيظل يدافع الى ان يقضي الله امرا كان مفعولا .

ان المهاجرين القدامى قد اصبحوا على ابواب الابدية ان لم يكونوا قد اجتازوها . واولادهم واحفادهم قد انقطعت بينهم وبين العروبة الصلة او اوشكت . لان البيئة التي يعيشون فيها جرفهم تيارها ، وبعد ، فهم ابناؤها الذين ابصروا النور تحت سمائها ، ولم تكن تربيتهم البيتية متينة .

وسيل المهاجرة الدافق الذي كان يجدد للاديب قراءه قد خف او جف . ولن يعود — اذا عاد — الا ضئيلًا هزيلًا .

والادباء الشيوخ ، قد باتوا ، تجاه هذه الوضعية ، مضافة اليها سنهم ، كالقناديل التي تشع حيناً ، وتنطفئ حيناً .

اما حملة الاقلام الشباب ، فانهم يشهدون هذا الصراع الاحتضاري ، ويتخذون له العدة ، فينصرف بعضهم الى ادب البلاد التي يقيم فيها ، ويتحول آخرون من « ادباء مهنة » الى « ادباء بطالة » اذا جاز هذا التعبير ، وتتوجه البقية الباقية الى الكدح المادي الصرف .

ويسألني سائل :

— وكيف تستفيد بلادنا من الادب العربي في المهجر وهذه حالته ؟ فاجيب :

— . . بان تنظم في مدينة او اكثر من مدنها الكبيرة متحفاً او متاحف له ، فيها الصحف التي اصدرها ، والمؤلفات التي طبعها . فالذين يؤرخون للادب العربي لا يسعهم الا ان يرجعوا الى بنات افكار المهاجرين ، فانها حلقة تربط عهدين منه .

نحن لا ننكر ان كثيرين قد انصفوا هذا الادب فكتبوا عنه مباحث قيمة ، وان تكن غير تامة ، فلم يصل الى ايديهم الا النزر من النفثات التي يجب ان يكونوا عليها مطلعين .

وقد قرأت لمجلة مقالة عن شاعر كتبته مستنيرة بقصيدة واحدة لا تمثل اتجاهه الفكري نظمها عرضاً في موضوع طيار . فما بالك لو تمكن من الرجوع الى سائر منظومات الشاعر ، وجاءته البينات عن حياته ؟

لا يظن القارئ اننا نرفع الادب العربي في المهاجر الى مكانة لا يمتد اليها النقد . اننا واثقون ان فيه مكامن عديدة للضعف ، والتقدير الحقيقي هو الذي يتناول الوجهين .

نكتب هذه الخواطر ، وقد اسس ذوو اليراعة العرب في الارجنتين ندوة دعوها « الرابطة الادبية » غايتها الرأسية جمع كلمتهم ، واعلاء شأن الادب(١) .

وتختلف عن مثيلاتها بان لا انظامات رسمية لها ، فقانونها هو ما عليه الضمير الحي والغيرة على الادب .

وهذه الرابطة(٢) التي مر على جلساتها الاسبوعية اكثر من شهرين لاقت من الادباء التحبيذ ، ووجدت فيها الجالية ظاهرة حسنة من ظواهر الاتحاد المكين .

ومن فضلها الفوري ، ان عادت الى الادب اقلام كانت منصرفة عنه الى التجارة ، فقدمت انتاجاً ممتازا ، دل على ان الاديب الاديب لا ينسى رسالته في الحياة ، مهما جارت عليه الايام .

ولعل هذه الرابطة تمد في عمر الادب العربي في الارجنتين ، وهو الادب الذي يسرع اكثر من رفيقيه في برازيل وفي اميركا الى الزوال .

عاصمة الارجنتين — الياس قنصل

---

(١) يعود الاجر في انشاء هذه الرابطة الى الاستاذ وليم صعب الزائر الكريم الذي احتفت به اندية الجالية احتفاء عزيزا . والى الشاعر المبدع جورج صيدح الذي يكاد يرصد وقته على خدمة هذه المؤسسة .

(٢) راجع العدد الماضي من الاديب ، البرقيات الادبية ، صفحة ٦٣ آخر العمود الثالث .

احـــزان

لاسكندر بوشكين

•

لقد عشت لكي اقبر رغباتي .
وارى احلامي ينخرها الصدأ .
وكل ما بقي الآن هي نيران عقيمة
تحرق قلبي الخاوي وتصيره ترابا.
لقد لفحتني عواصف مصيري القاسي
فذبل الزهر الصيفي في اكليلي
وبوحدة وحزن . ترقبت وانتظرت
وتساءلت عما اذا كانت النهاية قريبة
وكما لو تغلبت على ريح صرصر مستمرة
حينما يصفر الشتاء في الريح
وبوحدة فوق غصن عار
خلفت كورقة مرتجفة

كربلاء — العراق يحيى جمال الدين

هزيني لانام

للشاعرة السيدة اكيرس

•

الى الوراء تراجع ايها الزمن
من طيرانك الى الوراء ،
واعدني طفلة ولو لهذا المساء .
وانت يا اماه عودي من الساحل الاصم ،
واقبلي من شاطىء ليس فيه صدى ،
وضميني لصدرك ثانية مثل غابر الايام ،
وقبلي من جبيني اخاديد الهم وغضون الالم ،
وداعبي خيوط شعري الفضية المتداعية ،
ودعي حبك يرقب هجوعي ويحرس نعاسي .
هزيني لانام يا اماه هزيني لانام
الى الوراء تدفق يا تيار مد السنين الى الوراء :
هكذا غدوت منهوكة من الكدح والدموع
كدح بدون جزاء ، دموع تسكب هباء .
خذيها وامنحيني طفولتي وهاتيني صباي .
صرت منهوكة من ضمور وتفسخ وعناء ،
اجل لان نفسي عازفة عن
الثروة والجاه واليسار ،
منهوكة بزرع ليجنيه الآخرون ،
والقاء بذر كي يحصده متنعمون .
هزيني لانام يا اماه هزيني لانام.
ضقت ذرعاً من مراء ودنيء وكذوب .
امي ، ان قلبي يدعوك يا اماه ،
كم من صيف اكتست الاعشاب
بالسندس الاخضر ،
فازدهت وازهرت ثم جفت وصوحت
— وكذا وجوهنا —
ولم ازل اهفو بحنين جارف والم صارخ ،
لأحظى هذه الليلة بوجودك واتمتع بمرآك .
فاطلعي من صمتك الطويل وسكونك العميق
هزيني لانام يا اماه هزيني لانام
ولقد أنار قلبي في دياجير الايام الخالية
شعاع من قبس حبك — حيث
لا يضاهي حب الام حب ،
وليس هناك اخلاص يدوم ويبقى
متفانيا ، مطاوعاً ، صادقاً مثل اخلاصك .
وليس غير الام تقدر ان تمحو الالم
من تلك النفوس العليلة ، ومن
الاذهان الدنيوية الكليلة .
اي نعاس ناعم رخو يتسلل زاحفاً
فوق اجفاني المتثاقلة الهزيلة .
هزيني لانام يا اماه هزيني لانام.
اقبلي ، ودعي شعرك الكستنائي المنور بالتبر ،
يتساقط فوق منكبيك ثانية كسالف العهود
دعيه ينسدل فوق جبيني هذا المساء
مظللاً عيوني المضنية الحائرة ضد الضياء ،
فان في ظلاله ذات الحواشي المشمسة تحتشد
الرؤى والاطياف من غابر الازمان .
وتجتاح لجه المشرقة وتموج اواذيه المؤنقة
بكل رقة ومودة وافتتان .
هزيني لانام يا اماه هزيني لانام .
امي ، امي العزيزة ، ان السنوات
ولت بطيئة مديدة
مذ آخر ما اصخت السمع الى
ترنيمة هدهدتك :
هدهدي وترنمي اذ ذاك ،
حتى تلوح لنفسي بان اعوام الامومة
مجرد حلم عابر وخيال سائر ،
مضموماً لصدرك في حضنة ودية بحنان ،
وبأهدابك الوطف الزاهية تمسحين بها وجهي ،
فلن استيقظ او ابكي بعد الآن
هزيني لانام يا اماه هزيني لانام !

بغداد ضياء الشماع

قلب

مهداة الى « اديبة » مجهولة

•

فتشت في خبايا المجهول
فعثرت على كومة من الشوك تحترق
فيها لهب يضحك ودموع تتناثر .
مددت كفي وانا احاول جمع ما يتساقط
علني اعرف المجهول منها ؟
وكلما بسطت ، لم اجد فيما قبضت الا :
دخاناً من الوهم !
وضباباً من اليأس !
وصرخة من اعماق اللهب :
لن تجد . . لن تجد . .
كسرت شعاع عيني في هذه المرة
واجلته في الاغوار والثنايا .
لا شي . . لا شيء ، غير
السنة تتطاول وترقص !
عذاب يصعد وتلوى !
فصحت آه ، عرفت . . اجل عرفت !
اليست هذه هي صورتها في الرماد ؟
فقهقه اللهب المستعر وردد :

لن تجد .. لن تجـد ..
ففارت رؤى الجموح واضطربت
شفاهها الدامية
وتجمعت الاحلام على اجفـاني
وانسلت خيطاً الى الكومة المتضرمة .
فاذا بالرماد البـاكي .. هي !
وكومة الشوك الساخر قلبي !

بغداد فالح العسكري

انشودة النحلة

من اغاني شاعر الصين نياساجلدا

•

طلع الكوكب الغازي .
يالاقدامه المتعجرفة لا تطأ الامر كبأمن نور
اراد ان تشق الفضا . لاذعة النسيم بسوطها
والنحلة تبحث عن غذائها .
وهو يرميها بسهامه .
ترنو الى مأواها وعينـاها قلقتان
الآن تعود زميلاتي تحمل عطراً
سرقته من شفاه الازهار .
ايتها النحلة الضالة :
ليس بعيداً عنك بستان تنبت فيه الازهار
احملي ما شئت وعودي .
لا لن اعود الا حاملة عطراً جديداً .
اياك اياك وان تنظري ما وراء الخميلة !
مـاذا وراء الخميلة ؟
يا للنحلة الطلعة ! مـا وراء الخميلة !
ان قدمي نيا ساجلدا ترتعدان شوقاً ورهبة
هناك على حافة الساقية ترقد امرأة
لقد عرف « نيا ساجلدا » الحياة كما لم تعرفي !
وخبرها كما مضى العهد بحكماء الصين فما عرف
الخسران ولا ابتعد الى اقاصي الصحرا .
ما عرف الجسد وغاص في مستنقع الشهوة .
الا عندما لامست شفتيه شفتـا امرأة .
اي طيف « نيا ساجلدا » ! ايـها النور
الخارج من دياجير آسيا .
يا من شربت من رحيق الآلهة وسكرت
من انغام الآفاق البعيدة
ايها البرق الخاطف الابصار
ايها الاعصار الزاحف الى القلوب الراكدة .
ايتها الصاعقة محطمة الاغلال ترسف فيها
روح الانسان ، من اين اتيت بحكمتك ؟
ان الجسد الذي منحك الشهوة منحك الحكمة
ايتها الحشرة الملونة ارفقي بجنـاحيك
فالكوكب المنير تشتد صولته ويغلي
مرجل حقده . قريباً ينفث اللهب
فيحترق جناحاك في اواره
ان حنو « نيا ساجلدا » يأبى الا ان يرفق
بك ! اياك واللهب . عجباً « لنيا ساجلدا »
ما اعتاد ان يقدم نصائحه الا لمن يطلبونها
راكعين يقدمون اليه عبـادة الحكمة
والبطولة ! وطالما ضننت اي «نيا ساجلدا»
ايها الخضم الزاخر بالخيرات .
ان الروح التي تمنح البركة تقمصتك !! اعلم
أإله انت ام بشر نور أم نار
عجباً لك تحنو على نحلة صغيرة !
ولكنك جميـلة ملونة .. بنت الطبيعة !
عودي ايتها النحلة لقد بات الخطر قريباً
ان قلب « نيا ساجلدا » يأسف لعنادك
ايتها الحشرة الرفيقة !
انظري اقحوانة جميلة صفراء ناحلة !
لا لن ارشف منه شيئاً اني افتش عن القدرة !
لقد حملت منه رفيقاتي ما تضيق به الخلية
هوذا النرجس يا له جميلاً مترفعاً ضاحكاً متفائلاً
اليه ايتها النحلة ان « نيا ساجلدا » يسرك
ان تحملي منه غـذاء ليومك .
ولكن بياض زهرته ليس جميلاً فقـد
عرفته وعببت منه في ماضي ايامي .
لقد ملت شفتاي كل قديم
ايها الشوق يا ابن الحرمان الهم جنـاحي
صبراً وقدرة الوصول الى جديد
ما عرفه قبلي ولكن يعرفه بعدي حي .
يا للغرور لقد كدت اقول لا جديد تحت
الشمس ولكن « نياساجلدا » يعلم
ان هذا القانون وضعته حكمة
جهلت فعالية الحياة .
كل شيء جديد تحت الشمس .
ان قلب « نـيا ساجلدا » الطافح بالمسرة
يخلق حتى من رمال السهول اشباح حكمة
جديـدة . اليس في عبق
الاكاسيا نفثات جديدة ؟
يا لتأملات « نيا ساجلدا » مـا ابعد
واقوى ولخياله ما اعمق واضل !
اي « نيا ساجلدا » يا ابن رحب الآفاق
يا اخ الفكر الضال في مهمه الضمير
جميلة هي الاكاسيا ولكن زهورها ليست خالدة
انهـا تهوي مذعنة تحت لفح الهجير
الصنوبر خالد وتلك شجرته العـاتية ترفع
اغصانها داعية شتات النحل ليجتني عسلاً شهياً
لا ! لا ! الا تعلـم اي « نيا ساجلدا » ان
روحي لا تأخذ الا اقتداراً
ان الصنوبر يمنح اكثر مما يطلب اليه !
وطنت النحلة طنين من وجد المستحيل
اي «نيا ساجلدا» انظر وراء الخميلة الا ترى ؟
اي « نيا ساجلدا » يا ذا العين الثاقبة
يا من ادركت عينك حكمة الآفاق
الا ترى معي تلك الوردة المتفتحة
المتراخية المستعصية ؟
الا ترى من البعيد كيف تظهر داعية شاردة ؟
انها شيء لم ار مثله قبلاً !
فيها البخل والمنح ! فيها الضعف
والقدرة ! فيها الخلود والزوال !
قفي ايتها الحياة ان « نياساجلدا » يحذرك
تلك الزهرة شيء جديـد ! هي لحم ودم
ثمنها الآلام بل الحياة

روحي تأبى الا ان اسقط ضحية التجربة !

***

على حافة الغدير كانت امرأة .. حطت
النحلة على شفتها ثم طارت قدسية
النشوة واذا هي تسقط في الغدير.
لقد وجدت جديداً ثم هوت ضحية للموجدت
يا اله القدرة حتى النحلة عزفت عن كل
شيء في سبيل شفة امرأة

***

ثم حمل « نيا ساجلدا » عصاه وسار الى حيث
يحدو به الشوق القديم

سامي الجندي

دوامة

•

.. قليلاً .. قليلاً ، ان من الافراح
ما يغري بالبكاء . قليلاً من ومضات نفسك
الحزينة فان الافكار تتكور كالعنقود
وانت في افكارك المتكورة ، كالزوبعة
العاتية .. تدور بنفسها ولنفسها .
فلماذا لا تهب الناس بعض افكارك المتعبة
ان الجنون غالباً ما يهديه العقل للنفس .
فكن كريماً واعط الناس فيض افكارك
وماذا في ذلك ؟؟ بل ماذا سيبقى لك ؟
كثير من الاشياء ستجد في فقدها راحة .
وكثيراً ما ستشعر بالحرمان ..
في فيض الهناءة المترعة
ان الموت بغيض ولكن الا ترى
انه لا بد منه . . فلماذا تروعك الافكار
افض من ذاتك .. وكن كالينبوع الزاخر
بالحياة .. الشاعر بلذع الحقيقة
ان وجودك ليس عبثاً . حتى تضيق بك نفسك
انا .. وأنت .. بل نحن .. نعيش
باحساسنا اكثر مما نعيش بواقعنا وهل
احساسنا الا هذه الموسيقى النفسية :
ترحمنا مرة وتزحمها مرات
ولكنها رغم ذلك تؤول الى
لا شيء ولا شيء دائماً .
وافعالنا هكذا .. كاحساساتنا مهما
فعلت في النفوس ستنتهي حتماً الى لا شيء
اهناك عدم ؟! ستقول نعم او لا ..
وسيكذبك احساسك وسيصدقك وكذلك
قلبك وعقلك : انت كالموج حين تركبه
الحماقة وتسوقه في مسارب الشقاء
دوامة تتكسر على شاطىء الحياة

دوما – دمشق زهير ناجي

سيول

•

انها سيول جارفة ايقظت شعوري من جديد
فهي في عيني سحر لحظاتك .
وهي في اذني نداء موسيقى تتجدد نبراته
وهي في عقلي خمرة صافية في زجاجة بلورية
وهي في قلبي نشوة وعربدة
وهي في فضائي عبير انفاسك
فهي ملهمي
انها سيول جارفة ايقظت شعوري من جديد
صبت على قلبي المدثر في سحبه ،
فخرج وركع امام سمائك
على نفسي فانتفضت وتساقط دمعها
على روحي ، فانتقلت الى جسدك .
على خيالي ، فاستوحى فنه من معانيك .
على ديري ، فتحول عابداً ، وجثا امام محرابك
وفيه ملهمي
انها سيول جارفة الهمتني من جديد
قطرة واحدة تصنع سيلاً
اين هي ؟ فتش عنها ! هات سهامك !
كلمة واحدة تملأ صفحات
تلك التي تسمع حين تلمس شفتي شفتيك
قبس من نور ، يصعد به الفن
قليلاً قليلاً ، وبه اعرف ملهمي
انها سيول جارفة ، بعثت في الشعور من جديد
انفاس روحانية يرتلها سكون الليل
همسات شاعر يتلوها فم الزمان
بسمة من فم جميل ترسل اشعتها الى قلبي
خشوع محراب امام شاعر يرتل صلاة قلبه
انفاس يرتلها وهي السيل .
لاسمع ملهمي
انها سيول سحرية الهمتني الشعور من جديد
اسمع خريرها في دقات قلب الطروب
مرغ وجهك فوق صدري ، فهناك
مصب سيولك وعد الي سكران معربداً .
وهنا استيقظ من نشوتي .
وادثرك بردائي ، لان ملائكة
الحب اوحت الي ملهمي

مراكش – الدار البيضاء محمد ازويبن

الدموع

للورد ألفرد تنيسون

•

الدموع ، تلك الدموع المتثاقلة الكسول !
لست ادري اي شيء تعني !
دموع من غور يأس الهي مقدس
الى القلب تتصاعد وفي العيون تتجمع ،
اذ اجيل النظر في حقول الخريف السعيدة ،
وافكر في الايام التي مضت ولن تعود !
غضة نضيرة كأول شعاع يسطع لألاء
على شراع يطلع الينا بالاحباب
من المياه وراء الافق ،
ومكتئبة حزينة كآخر شعاع يحمو فوق
شراع يغرق ويهوي بمن نحب الى ما وراء الشفا
هكذا هي مكتئبة حزينة وغضة نضيرة
تلك الايام التي مضت ولن تعود !
آه حزينة وغريبة كالصدحة المبكرة
وقت الفجر المعتم في ايام الصيف ،

تلقيها الطيور نصف المستيقظة،
في الآذان المتثاقلة المحتضرة
اذ ما تتسع النافذة المعتمة
تدريجيا في وميضها وبريقها
ازاء العيون المثقلة بالنوم حتى الموت،
هكذا هي حزينة وغريبة
تلك الايام التي مضت ولن تعود !
عزيزة غالية كالقبل التي نتذكرها
بعد موت الحبيب،
وحلوة عذبة كتلك التي يتصورها
ويتخيلها الوهم القانط
على الشفاه التي لا غلك،
وعميقة كالمحبة، عميقة كاول محبة،
وهائلة الغرابة بكل ما فيها من ندم وحسرة،
آه، ايها الموت في الحياة
انت ايتها الايام التي مضت ولن تعود !

حلب — توفيق اليازجي

واحة

الى من عاشوا تحت الظلال وتركوا الضياء للفراش المخدوع

●

رمال بعيدة كالمحيط.. سماء صافية وكأنها عين زرقاء بها دمعة حائرة. وهناك بين الافق والسماء شجرة وادعة.. ترتعش ظلالها على الرمال وكأنها طيف انسان مرتعد. وتحت هذه الظلال يتسربل غدير صغير يهدو. وكأنه يخشى ان يصل الى النهاية.

انها واحة.. او لعلها تكون سرابا

كم ضللنا المسير. كم ضللنا الحياة. اما قلبنا فسيرتجف دوماً كلما تراءى له شبح نخلته من بعيد، اولمع بين الرمال بريق ساذج.

اننا نعمل.. اننا نشقى ولكن.. سوف لا نصل الى واحتنا الا باحلامنا. انا سنمضي.. سنموت ولكن، قبل ان تغادر قلبنا صورة تلك النخلة. وبريق ذاك الماء العذب. وارتعاش تلك الظلال الحنون..

ما احب حياة التائه. ما احب حياة من يعيش بأحلامه. انه سيصل. سيسعد. قلبه يضطرب كلما رأى عن بعد ظلالا ترتجف فوق رمال. احساسه يثور كلما رأى من بعيد بريقاً تغيبه الرمال من حين الى حين. روحه تغرد كلما تراءى شبح نخلته ينتصب في السماء.

انه الشاعر بالحياة..

انه الساعي من اجل الحياة.

لن يرتمي على الرمال تعباً ناعساً. لن ينظر الى الافق محدقاً فزعاً. لن يشعر بهجير الشمس.. قلبه في هذا الافق، احلامه بين النجوم. وآماله في هذا المجهول المترامي امامه.. فما الحياة الا احلام ويقظة. وما الانسان سوى ذاك الطيف المتردد بين واقعه واحلامه.. ولولا هذا التردد لما شعر الانسان بوجوده.. ولما كان انساناً.

اننا في عالم محدود. عالم ضيق. اما احلامنا فشاردة طليقة. طليقة في ذاك العدم الحبيب الذي تقودنا اليه حيث لا ارادة ولا امل.. حيث لا ظلال ولا انوار..

انها تسير بنا الى واحة من غير ماء.
ولكنها.. واحة
انها تسير بنا الى ظلال من غير حقيقة
ولكنها.. ظلال
انها تسير بنا الى حياة لا وجود لها
ولكنها.. حياة.

انها حياتنا الثانية.. انها سرابنا. انها انسانيتنا. والانسان.. ذاك التائه بين السماء والرمال. ذاك الحائر بين عينه المتفتحة وعينه الحالمة.. الا يسأم العمر ويمل الحياة دون هذه الحيرة وذاك الضلال؟ قد يكون!! سنذهب الى عالم بعيد او قريب. سنذهب من دون رجعة ولكن.. ستبقى لنا الحياة ما دامت زفراتنا في الهواء. ستبقى لنا الحياة ما دامت احلامنا في السماء.. وسنبقى تائهين بين السماء والرمال ما دام في صدرنا قلب يرتعش.. وفي احلامنا اطياف تتوارى !!

دمشق — ربيع الصلح

للشاعر شللي

●

اليها...!

انا لا استطيع التخلي عن الحب !!
وعبادتي المرفوعة اليها من ارض الاحزان.
ارجو ان تتقبلها..!
فالسماء لا تعارض الفراش في حنينه للنجوم.
والليل لا يعوق الفجر عن الانبثاق !!

منظر....!

الشواطىء الزرق.. وثناياها الداكنة تهمهم كالحس ! والزبد والحباب، يقبلان الرمال الناعمة، في الكهوف البيض. والانسام تهوم على طول الشاطىء. حيث تتكسر الامواج.. والاحراش الكثيفة، تشرق بالجذوع العتيقة.! والينابيع والجداول والبحيرات الصغيرة صافية كالماس.! وفي الصباح الجميل. تظهر المسارب المعشوشبة وقد مهدتها اقدام المعز والغزلان.! والمكان بأسره يطفح بالجمال والبهاء..!

الوداع...!

جنحت الغيوم للقمر.. فعبته حتى الثمالة.! والريح جمحت.. فأظلمت الدنيا واسود الافق! والليل البهيم. يلتف حول اضواء السماء الشاحبة! وكل شيء يصيح. الوداع.. الوداع..!!

المسمية – فلسطين — عبد المنعم العالم

اليان كارول امرأة انتقمت من الرجال !

☆☆☆

أثار مقتل اليان كارول في مطلع سنة ١٩٢٨ بما اكتنفه من اسرار ، قلق مجرمي نيويورك ، واهتمام الصحافة والاخصائيين في اكتشاف الجرائم ودراسة الاجرام . وعبثاً حاول هؤلاء استنطاق الظروف التي سبقته والتي احاطت به ، لاماطة الستار عن اسراره ، فانهم لم يهتدوا الى شيء ، وكان يجب ان تنقضي عشر سنوات كاملة ، وان تتدخل المصادفة غير المنتظرة ، حتى يسطع النور في ظلمة هذه القضية الحيرة . فقد توفي في كانون الثاني سنة ١٩٣٨ محام اميركي كبير في ظروف خاصة ارغمت رجال الشرطة على حجز اوراقه ، فاكتشفت بين هذه الاوراق اضبارة تتعلق بالبلاك كات « او نادي القطة السوداء » ، وهو النادي الليلي الذي كانت تترأسه اليان كارول قبل موتها ، فازاحت هذه الاخبارة ستار الغموض الذي حجب حقيقة هذه الجريمة المروعة طوال عشر سنوات .

لنعد في القصة الى منشئها ، ولا بد لنا حين نفعل ذلك ، من ان نعرض الى جريمة او فضيحة اخرى على الاصح ، اكتشفت سنة ١٩٢٩ في نيويورك نفسها ، وكان بين الذين اشتركوا فيها ووردت الصحافة اسماءهم وقتاً طويلاً ، عشرات من رجال الشرطة ورجال الاعمال وكبار القضاة والمحامين والسياسيين اللامعين . لقد كان هؤلاء جميعاً ينتظمون في عصابة عجيبة جعلت هدفها النصب والاحتيال وابتزاز الاموال من النساء الشريفات المثريات بتهديدهن بالفضيحة ، بطرق دقيقة ، منظمة ، فنية اذا جاز هذا التعبير ، بلا حياء ولا رحمة ولا وازع من خلق او ضمير .

وكانت هذه الطرق متشابهة في اكثر الاحيان : تكون المرأة مطمئنة في منزلها ، تقرأ في مخدعها ، او تصغي الى الموسيقى في غياب زوجها ، او مستلقية على فراشها ، في مساء هادىء جميل ، فيفتح الباب فجأة ويدخل عليها رجل انيق ، ويبادر هذا الرجل الى خلع ثيابه دون ان يهتم بصراخها واستنكارها ، وما هو الا قليل حتى يتبعه رجال الشرطة الاخلاقية وكأنهم كانوا معه على ميعاد ، فيقبضون عليها دون ان يصغوا الى اقوالها ، ولكنهم يصغون بعطف الى ذلك الرجل الذي يزعم ان هذه المرأة قد اعترضته في الطريق فأغرته ودعته الى منزلها ، ثم هددته باتهامه بالاعتداء عليها ، ان هو لم يوقع لها شيكاً ببضعة آلاف من الدولارات .

وينجم بغتة شهود عديدون ، فيقول بعضهم انهم شاهدوا المرأة وهي تتعرض للرجل في الشارع ، ويقول آخرون انه سبق لها ان اغرتهم وسلكت معهم السلوك نفسه ، فتتم بذلك حلقات التهمة الشنعاء ، تهمة ممارسة الدعارة السرية ، وينظم الشرطة محضراً بضبط المرأة بالجرم المشهود .

وحينئذ ياتي محامون كبار لامعون ، فيتدخلون في القضية ، ويعرضون على المرأة خدماتهم ، معلنين لها استعدادهم لانقاذها من الفضيحة مقابل مبلغ كبير من المال ، فان هي اذعنت ودفعت المبلغ المطلوب ، حفظت القضية وصانت المرأة شرفها ، وان هي

ابت الاذعان وقاومت المكيدة، احيلت الى القضاء فحكم عليها بتلك الجريمة استناداً على شهادات الشهود وضبط الشرطة.

واستمرت هذه العصابة المجرمة في اعمالها منذ سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٢٨، واستطاعت ان تجني منها عشرات الملايين من الدولارات وقد تبين فيما بعد ان كثيراً من النساء اللواتي انتحرن في نيويورك خلال هذه المدة، انما أقدمن على الانتحار تخلصاً من ضغط هذه العصابة عليهن وتهديدها اياهن بالفضيحة والعار. ويبدو انه كان للعصابة دائرة للاستعلامات على غاية من الدقة، لانها لم تتعرض قط لامرأة تملك وسائل الدفاع

ومن هؤلاء النساء اللواتي تعرضن لبراثن هذه العصابة الرهيبة، امرأة حسناء تدعى اليان كارول.

في سنة ١٩٢١، وهي السنة التي تعرضت فيها العصابة لاليان كارول، كانت هذه المرأة في سن الرابعة والعشرين، ذات وجه رائع وجسم فائق الجمال، ولم تكن ماجنة مستهترة ولا نموذجاً للفضيلة، فقد احترفت الرقص في برودواي وهي في الخامسة عشرة من عمرها، وورثت عن صديق لها ثروة كبيرة، فتزوجت شاباً مقامراً يدعى بيشوف فعاشت معه سنتين ورزقت منه فتاة سمتها بنيتا، ثم انفصلت عنه واخذت تحيا مع آل ماركس وهو رقاص مبدع احبته اعظم الحب.

ولعل اليان كانت حرية بان تتجه اتجاهاً سوياً، وتحيا حياة شريفة مطمئنة، لو ان الاقدار لم تربط مصيرها بهذا الشاب الخليع المشبوه. ولكن هذا العشيق كان يسير بها سيرة اخرى. وقد بادر الى استغلال ثروتها، فأنشأ مرقصاً كبيراً، استطاعت المرأة ان تحافظ على سمعته وقتاً غير قصير.

وكانت الحياة الليلية في نيويورك تخضع حينذاك للعصابتين الشهيرتين اللتين يرأس احداهما جاك دياموند، ويرأس الثانية آل كابوني. تستطيع احدى المؤسسات ان تأمن اعتداء احدى هاتين العصابتين الا اذا اجتمعت بالعصابة الاخرى، وكان آل كابوني فيما بدا لآل ماركس اقل شراً من دياموند، فهو منافس له حديث العهد بالاجرام، وهو يقيم في شيكاغو وينظر الى نيويورك كأنها فرع من فروع اعماله الواسعة النطاق، فعهد اليه بحماية مرقصه من المجرم الخطير الآخر.

ولكن يبدو ان ماركس قد احب غانية كانت تختلف الى المرقص، وان اليان قد لاحظت ذلك، فكان بين العشيقين عتاب بل اكثر من العتاب، وهددت المرأة الشاب الشارد بالانفصال عنه وذكرته بان المرقص ملك لها وانها حرية بأن تنتزعه من يده متى شاءت.. فغضب وطلب من آل كابوني اعطاء عشيقته درساً صغيراً تدرك معه انها في حاجة الى حمايته ولا تستطيع العيش بدونه.

ومثل افراد العصابة مع اليان كارول ذلك الدور الكلاسيكي الذي مثلوه مع مئات النساء وبرعوا في ادائه.. فاتهمت ظلماً باحتراف البغاء وقبض عليها في الجرم المشهود، وشهد الشهود المزيفون بما يثبت ذلك، وطلبت منها العصابة الرهيبة مبلغ عشرين الف دولار لتنقذها من العار. ولكن المرأة رفضت دفع الجزية، ودخلت السجن في انتظار احالتها الى القضاء،

ولسنا ندري هل كان العناد هو الذي حدا بها الى سلوك هذا المسلك، ام انها لم تكن تملك المبلغ الكبير الذي طلب منها تسديده دفعة واحدة!

وكانت اليان تنتظر من صديقها الدفاع عنها ومواساتها في محنتها، فاذا به يتوارى عن الانظار بصحبة المغنية التي شغفت قلبه حباً.. فكبر ذلك عليها، واستبد الحزن بها، حتى خيل لزميلاتها السجينات انها ستفقد رشدها، وحين قررت المحكمة التي نظرت في قضيتها الحكم عليها بالسجن سنتين كاملتين بدت كالمصعوقة بهذا الحكم الظالم الذي ادانها بتهمة ملفقة وجريمة هي منها براء. وادركت اخيراً ان صديقها آل ماركس الذي تخلى عنها في ابان حاجتها اليه، هو الذي اوغر عليها صدر العصابة المجرمة وجرها الى هذا المصير المخزي. فأظلمت الحياة في عينيها، وقضت تلك المدة الطويلة التي حكم بها عليها وهي لا تفكر الا في الانتقام. ثم بلغها وهي بين اسوار السجن نبأ وفاة ابنتها الوحيدة الغالية فتفاقم غضبها وتسعر حقدها..

وما كادت تستعيد حريتها بعد عامين قضتهما في وحشة الوحدة وسوء العذاب، حتى شرعت في انتقامها الرهيب.. ومن عجب، انها لم تفكر في الانتقام من افراد تلك العصابة التي افترت عليها ذلك الافتراء الشنيع وزجت بها في غيابة السجن، بل اتجه حقدها

احترفت اليان كارول الرقص في برودواي وهي في الخامسة عشرة من عمرها

نحو جميع الناس الآخرين ، نحو المجتمع الذي اعتقدت بانه مجتمع جبان وظالم لانه لم يتبين براءتها، ويكشف عن المؤامرة التي كانت ضحيتها ، او لانه عرف الحقيقة ولم يجرأ على اعلانها .

وكانت اليان كارول لا تزال جميلة رائعة الجمال .

وكانت ذكية متقدة الذهن وقد علمتها التجارب التي عانتها المكر والدهاء .

وكانت حاقدة على الناس تتوهم انهؤلاء الناس،لا انظمتهم المعاشية وعلاقاتهم الاجتماعية ، هم السبب في كارثتها وكل كارثة اخرى . .

فجعل منها الجمال والذكاء والتجربة والحقد مجرمة خطيرة،ولم تنقض بضع سنوات حتى غدت اكبر امرأة مغـامـرة في الولايات المتحدة وبات كثير من المجرمين انفسهم يخشون بأسها ويهـابون سطوتها .

وتألقت الانوار التي انطفأت في مرقص اليان مدى عامين ، وفتحت ابوابه المغلقة على مصاريعها ، ولكنه لم يعاود خطته القديمة التي كانت لا تختلف عن خطط المراقص الاخرى،بل تطور هو ايضاً مثلما تطورت صاحبته ، فتحول من مرقص عادي الى ناد لبلي تغشاه الطبقة الارستوقراطية المترفة، واطلق عليه اسم « القطة السوداء»، وأمسى أشهر دور اللهو في نيويورك . . أما شهرته فكانت تعود الى ضروب الحب المحرم وألوان الشذوذ وأشتات الجرائم التي تقترف تحت سقفه وتحاك بين جدرانه، بحماية الشرطة ورجال القضاء الذين كانت اليان كارول تغدق عليهم هباتها بسخاء . .

لقد خبرت هذه المرأة فنون اللهو والاجرام ، ودرستهـا ، ونظمتها ، وأحاطتها بمظاهر الارستوقراطية الباذخة ، وجندت لحمايتها عدداً غير قليل من كبار الرجال الرسميين الذين كانوا يرتجفون أمامها مثلما يرتجف مستخدم صغير امام رئيس خطير . .

وقد اكتشفت في«نادي القطة السوداء» ، فيا بعد، اضبارات خاصة بجميع الاشخاص الذين كانوا يختلفون اليه، نساء ورجالا،فاذا هنالك الفا رجل من زبائن النادي ، وخمسمائة امرأة من المشتغلات فيه . وأقل هؤلاء النساء كن من المومسات ، واكثرهن من نساء الطبقة الراقية اللواتي كن يتعاطين البغاء لا كمورد للرزق بل ارواء لميولهن وانحرافاتهن . . . وقد سجل في الاضبارة الخاصة بكل واحدة منهن معلومات غاية في الطرافة وغاية في المجون . .

وتؤكد اليان كارول في رسالة وجدت بين أوراقها ، انها لم تكن تنصب شراكها لرجل طاهر بريء ، واذا كانت العصابة التي دفعتها الى هذه الهوة قد هاجمت النساء الطاهرات الشريفات،فان عصابتها هي قد حرصت على مهاجمة الرجال الخليعين المتفسخين من طلاب اللذة الحرام .

لقد كانت ترسل ذلك الجيش المؤلف من خمسمائة امرأة،والذي يحميه جيش آخر من الرجال الرسميين ، في أنحاء نيويورك والولايات المتحدة كلها بحثاً عن الرجال . . وكان يشترط في هؤلاء الرجال ان يكونوا اغنياء ذوي مراكز عاليه في المجتمع او مصابين بالانحرافات الجنسية ، فاذا ما جيء بواحد منهم الى « النادي » ابيحت له جميع انواع اللذائذ والمخدرات حتى يفقد قواه ووعيه ، ثم تؤخذ أوراقه فتدرس ، وينطلق الاختصاصيون بعد ذلك للبحث سريعاً عما يملكه ، ويبدأ بعد ذلك التهديد بالفضيحة . .

انها ذات الطريقة التي اخذت بها اليان كارول،مع فوارق ثلاثة اولها ان العصابة كانت تنصب شراكها حول النساء أما العصابة الجديدة فانها تصطاد الرجال . . وثانيها ان النساء اللواتي ذهبن ضحية تلك العصابة كن في اكثر الاحوال شريفات او يسلكن على الاقل مسلك النساء الشريفات . اما ضحايا هذه العصابة من الرجال فهم فاسقون حقاً منغمسون في الفسق والرذيلة . . وثالثها ان الوثائق التي كانت تواجه بها اولئك النساء كانت وثائق ملفقة ظاهرة التلفيق ، اما الوثائق التي كان يواجه بها زبائن «نادي القطة السوداء» فكانت صور فوتوغرافية اخذت لهم في غفلة منهم وهم في اوضاع مخزية يندى لها الجبين . .

وهكذا كان هؤلاء « الزبائن» يضطرون الى دفع كل ما يطلب منهم اتقاء للفضيحة وتجنباً للعار . . وكانت المبالغ التي تنتزع منهم تقسم الى ثلاثة اقسام تأخذ اليان كارول قسماً والمرأة التي «اصطادت» الضحية قسماً ثانياً ويوزع القسم الآخر على رجال الشرطة ورجال القضاء . !

وقد قدر دخل اليان كارول بمفردها، من أعمال النصب هذه ، بثمانمائة الف دولار في كل عام . .

وذات يوم تعرفت رئيسة «نادي القطة السوداء» نفسها بمليار دير يدعى هنري ماك دونالد جامسون وهو مالك أحد أصناف الاطعمة المحفوظة،فأحبها حباً جنونياً ، وغدا من زبائن النادي الدائمين،وكان ينفق كل ليلة ثروة صغيرة ثمناً لباقات الزهر وزجاجات الشمبانيا التي يقدمها لمعشوقته، دون ان يشترك في اي لون من الوان المجون العاصف التي كانت تمثل في اقبية النادي الانيقة كلما اظلم الليل .

وكانت محفظة هذا المليار دير الكهل حافلة دائماً بأوراق مالية كل منها من فئة الالف دولار ، وقد اكتفت اليان بأن تأخذ منها كل ليلة ثلاث ورقات كان يدفعها لها بطيبة خاطر ، مقابل عشاء

بسيط ، مؤمنة بأن الامر اذا استمر على هذه الحال ، فانها تستطيع ابتزاز قسم كبير من ثروة هذا الرجل .

وقد استمرت هذه الحال فعلاً خمسة وخمسين يوماً، قبضت فيها اليان من العاشق المتهدم مائة وخمسة وستين الف دولار ، وكان يمكن ان تستمر شهوراً او اعواماً لولا ان شركاء اليان كارول قد ذكروها يوماً ، بهذه المبالغ التي تفردت بقبضها ولم تشاركهم فيها، وبانهم يكونون شاكرين لها اذا اعطتهم ثلثها، وهو المقدار المخصص لهم من كل ربح يجنيه النادي . .

واخطأت المرأة هذه المرة ايضاً مثلما اخطأت في مقاومة العصابة الاولى وعدم الاذعان لمشيئتها . . لقد كان جامسون على استعداد للزواج بها لدى أول اشارة تصدر عنها حول هذا الموضوع، فتستولي بذلك على ثروته الضخمة كلها . . وماذا يؤثر في هذه الثروة زيادة خمسين الف دولار او نقصانها ؟ !

ولكن العناد سيطر على اليان كارول في هذه المرة مثلما سيطر عليها في المرة السابقة ، فرفضت طلب شركائها، لانها اعتقدت بان جامسون صيد خاص بها ، هي التي جاءت به ، ومن اجلها وحدها انفق ، وهي بعد لا تخشى منه خطراً ، ولا تريد الالتجاء معه الى طرقها المألوفة في النصب فما هي الحجة التي يتذرع بها افراد عصابتها من المجرمين والشرطيين والقضاة لمشاركتها في ثروته . لقد قامت بهذه الصفقة ، ان كان يصح تسميتها كذلك ، بمفردها وهي تريد الاستئثار بالغنيمة بمفردها ايضاً .

واصر الشركاء على نيل حصتهم، واصرت اليان على الرفض . وحين شاهدت غضبهم ، خامرها سرور غامض بتحديهم وتحقيرهم والاستهانة بهم . فلم تنقض ايام معدودة حتى شوهدت جثة اليان كارول في حديقة كورتلاند وقد اخترق ظهرها خنجر ماض فأودى بها .

لقد قتلتها عصابتها ، وعسير جداً تعيين الشخص الذى قتلها منهم ، فليس بينهم من يتورع عن هذه الجريمة . . هكذا اعلن المحققون حين ازاحت المصادفة ستار الغموض الذي احاط بقضية اليان كارول بعد ان انقضت على مصرعها عشر سنوات كاملة .



وحين شاهدت غضبهم خامرها سرور غامض بتحديهم وتحقيرهم والاستهانة بهم



خليل مطران :

الشاعر السامي

رثاء إمام المجددين خليل مطران بك
ألقي في حفلة تأبينه بنيويورك يوم ١٠ اغسطس ١٩٤٩

الهة الشعر! عاد الشاعر السامي الى عوالم لم تحصر بأجرام
الى عوالم غنّاها واسكرها كأن اضواءها اصداء انغام
الى نهى لم تكيّف في منازلها ولم تحدد بأنفاس واجسام
الى منابع الالهام صافية فاضت على الشمس والدنيا باقسام
الانبياء الى عليائها انتسبوا والشاعرية في وحي والهام
الى منارك ، فاستعلت كواكبه ونحن في وهدة هانت واظلام
تدور لا ملجم يملي مساربها ونحن ما بين اسراج والجام
وتبعث الشعر في خفق اشعتها جم الفصاحة ان يوصف بابهام

***

الهة الشعر! عاد الشاعر السامي الى عوالم لم تحصر بأجرام
لم ينزع الموت اكليلا خصصت به ذاك الجبين ، ولم يظفر بأغنام
وان يكن قد اثار الهول في مهج وبعثر الزهر من باك ومن دام
أسري به في بروج لا كواكبنا تدري مداها ، ولا ارباب احلام
وخلف الفن مكبوتاً على وجل ألم يرزأ بفقد الكوكب «الرامي»؟
طار النعي ، وبئس الطير روعنا وهو الجريح بأحزاني وآلامي
القى علينا الاسى ثكلاً ومسغبة مبدداً ذخر آمالي واحلامي
زاد الهجير لهيباً فرط حرقتنا أليس حرقتنا انفاس أيتام ؟
كأنما لم يمت قبلاً بعلته الفاتحون لدولات وافهام
كأنما عيشه حام لفكرتهم والفكر ليس له كالفكر من حام
ما افدح الخطب للعانين ، ما نعموا فكل جرح جديد غير ملتام
وما اشق المآسي للشعوب متى تدوولت بين احياء واعدام !

***

هل يعلم الناس اي الناس قد فقدوا ام لا يزالون في نوم واوهام؟
وهل بكت بردى والنيل واضطربا كالارز من نوح اعلام واعلام؟
اصالة من جلال ليس يرفعه عال من المدح او دان من الهام
من ساير النهضة الكبرى وهذبها بالفن والرأي اعواماً باعوام
وما تردد في تكييف مبدئه ولا تذبذب في نقض وابرام
ولا تلعثم يوماً في رسالته ولا تعثر في تحطيم اصنام
كأنما رشده الصمصام في فرق وشعره برء فأفاء وتمتام
اجزت شجاعته الاحرار عن خدع في عالم زاخر باللؤم لوّام
وفاض شؤبوبه رياً لمن عشقوا انفاس (طيبة) او الحاظ آرام
واشرفت (بعلبك) من خرائبها عرائس المجد في (لبنان) و (الشام)
البستها حللاً ما نال مشرقها اعراس (كسرى) ولا افراح (بهرام)
ما (البحتري) من الايوان موقفه وانت في (بعلبك) العابد السامي؟
منازل لك لم يتزل بساحتها الا النبوغ ، فما هانت لاقوام
شعر تشرّب به الارواح صافية وتستقل به ، لا نظم نظام
وشاعر لم يهد قبله بهدى مثل (المسيح) اتى من بعد اظلام
جم المروءة ، وافي الخلق ، ذمته ليست مطية احباب واخصام
يغدو اليه ذوو الحاجات في لهف وينثنون وكل جد مبسام
وما تعاظم يوماً في تفوقه بل في تواضعه آيات اعظام
كانت زعامته ركناً يلاذ به دون ادعاء لاحزاب واحزام
كالنور ليس لارض ان تخص به ولن يقاس بابعاد وارقام !
قد ضن بالفن الا للبصير به كالكنز خبيء في حرز بأختام
وصان تفكيره عن عرض مبتذل كأنما هو حصن بين آطام
والفكر كالدين حي في قداسته ملء العصور بآيات وآرام[1]
لا كالخرائب والاطلال تسكنها شبح الفناء وتستخذي لابوام .
ما عززت امة اودت بعزته ولا اعتدت دونه في عد آنام
اذا تهاون شعب في كرامته عز الاديم عليه عند أدام
وان اسي الى الاسي يعالجه لم يرأم الجرح او ينقذ بارآم[2]
ما حاربت امة اخيارها ونجت او اودعت امرها اوهام رجام
هذا هو الخالد الموهوب ارفعه عن ان تشير اليه اي ابهام !

***

قنعت بالحظ في النجوى ، ومرتقبي نعمى حنانك في عودي واكرامي
يا من اصاخ له قلبي فهذبني طفلاً وكهلاً ، وأحيا كل ايامي
يا من سكنت اليه العمر ملتجأ ضافي العزاء ، فلم اعبأ بأخصامي
صحبته في خيالاتي ، وفي مُثلي وفي حياتي ، وفي سعيي واقدامي
ولم يزل ، . . ما لهذا الموت يعصف بي كما يبعثر تأويلي واحكامي؟
وما لبرهة عام كنت ارقبها حالت ابوداً وردتني لاحرامي ؟
اولى به ساعة تنكيس ارؤسنا حزناً عليه وتنكيس لاعلام
لا ان تخفض للطاغوت صاغرة او ان تطأطيء في بؤس واعدام
لئن تجرد عن القاب مملكة زانت جباناً وما كانت لمقدام

(١) الآرام : النصب التي يُستهدى بها .
(٢) الارآم : معالجة الجرح .

فالذئب يمرح في ثوب لسيده وما يبدل غُنماً ثوب ضرغام !

***

لم يبق لي من عزاء غير ما وهبت عيناك للخلد من آيات رسام
ومن مزامير جلت في ترسلها وفي تسلسلهـا عن اي ادغام
ومن تسابيح مطران ارددها كأنما هي من اركان اسلامي
ومن اغاريد للعشاق ارشفها راح الشباب فأنسى جدب أيامي
ما الراح في الخلد موعوداً بها ادبي ارضى بجاماتها عن هذه الجام
ومن اهازيج في معنى وفي صور هي (الطبيعة) في روحي والمامي
ومن عظات وامثال وفلسفة جاءت اناجيل فوق المدح والذام
ومن تهاويل للتاريخ تسردها فنلمح الدهر احقـاباً بأيام
ومن صنائع المعروف سابغة ساوت ببر لمخدوم وخدام
ومن احاديث مج الشهد مبدعها وان توارت بأزهار وأكمام
تنم عن عبقري الفن معجزة والفن كالحب يحيا جد نمام
ولا انيس سوى الذكرى لصحبتنا وكم تثور على يأسي واحجامي،

***

رحلت في زمن عز الحكيم به والسائس الحر، بله الشاعر السامي.
عن امة حظها الشكوى بلا خطر فما تثور على اسواط ظلّام
يخشى افاضلها الاوغاد ان سعلوا ويركعون لاغراد واوغام
ويسخطون على مثلي ليقظته اذ يمدحون، ويبكي الشاكي الرامي !
لا يستقرون من روع ومن قلق ولا يلبون حتى عزم همام
اذا اردنا لها استقلالها نفرت وما كرامة ذي عوذ لقوّام ؟
كأنما نسيت تاريخ عزتهـا ولم تطوف باهرام واهرام !
قالوا : قطيع من الاغنام يشبهها ! يا ليتها كقطيع بين اغنام !
يصطاد ارزاقها من لا اكيفهم ويستبـاح ركوباً عند اجرام
ولا يقومها نصح، ولا عبر ولا سداد، وتهوى لهو هدام
كم خودعت وصروف الدهر ضاحكة فخلّطت بين احباب واخصام
ما بارم الحبـل في اعواد مشنقة كرافع لبنود النصر برام
فاثخنتها جراحات بلا عدد واسلمتهـا لزلات واسقـام
وما ينال وفيّ حين يرشدها الا العقاب والا وطء اقـدام
الهزل ما زال من اسمى شعائرها والجهل معبودها في ملكه النامي
احرارها غرباء لا تميزهم في حين تعنو لاوشاب واعجـام
لم تتعظ وصروف الدهر تلطمها ولم تزل رهن انصاب وازلام
وتقتل الوقت اسفافاً ومنقصة وثأرها عند بطريق وحاخـام
ولم ازل وأنا العاني بخدمتهـا شبيهها في ضلالاتي وايهـامي
احنو عليها وان جارت على ادبي وعـاقبتني على بري وانعامي

وطاردتني الى منفاي جـانية وعددت صفو آثاري كآثام !

***

من لي بقربك حياً ذائداً مقة عني، وحارس وجدان واقلام
يؤرخ الادب العالي بسيرته وباسمه يهتف الوافي بـأقسام ؟
لبيك من صفوة الاحرار من عرفوا من انت واغترفوا من بحرك الطامي
ومن أبوا ان يعدوا في محبتهم بين المغالين، لو قيسوا بـبستـام
ومن يفدون اوطـاناً نفحت بهـا روح الاباء فلم تذعن لهوام
ان كانت اليوم نهباً بعد تضحية فلن تسام دواماً سوم انعام !

***

عسى الرياض التي ناجيتها شغفاً تبوح بالوحي للساعي وللظامي
عسى الرياح الـتي شاقتك ثائرة تفـك عني اغلالي وارغامي
عسى الهدير على الامواج ينفحنا بلحنك الحر لم يقرن باعجام
عسى ترانيم هذا الطل تمنحنا فرائداً منك في شؤبوبه الهـامي
عسى المساء الذي غنيته صوراً من الجمال يغذي حلو انغـامي
عسى الجداول في ابهى وداعتها تسيل منك حناناً حول آكام
عسى المروج وراعي النحل يلثمها ترف بالشهد عطفاً بعد اجهام
عسى (الطبيعة) في اسنى مفاتنها تجود لي بسناء منك بسّام !
أنّى تأملت في حسن اهيم به رأيت لطفك في ذهني وتهيامي
في نشقة العطر، او في النور مختلجاً في ثورة البحر، او في روع آجام
وفي مشاهد لا تحصى دقائقها انت وغنت على مزمـار غنـام
ورنحت كل عشب في تصوفه كأننا اهل اشواق وارحام
ازجي رثائي صلاة انت ملهمها وان تكن من حنايا قلبي الدامي !

نيويورك الدكتور احمد زكي ابو شادي

الشماع الكريم

●

فجع الروض بالكنار العميد وبكت طيره امير النشيد
وانحنى الزهر فوقه سافحاً بعض الذي ضم من شذاه الفريد
سكت البلبل الامير فجودي يا عيون الروض المروع جودي
هل دعته الحور الملاح على الكوثر غرقى ما بين كأس وعود ؟
فاستجاب النداء كالنسمة العذراء، كالفجر باسماً حين نودي
حضنته الهة الشعر ثكلى وبكت خير ولدها في الفقيد

ونعته الى السماء فخفت آلهات الفنون سود البرود

***

شاعت النبأة المريرة في الشرق فغصت بها لهاة المعيد
وفجعت القطرين يا شاعر القطرين واهتجت من وراء الحدود
خلق لا الصباح اسنى ولا الروضة اذكى ولا ابنة العنقود
وجلال وعفة وحياء فيك عزت على كواعب رود
يا شهيد الجمال اي جمال هو حتى غدوت خير شهيد ؟
واخليلي ! واين بعدك للشعر خليل في ودك المعهود ؟
اطلعتك السماء نجماً فريداً رمقته النجوم رمق الحسود
يا هزاراً بجت حناجر دنياك وما زلت ساحر التغريد
من مثير في الحرف بعدك روحاً وجمالا يا منطق الجلمود ؟
حكم كالضياء سلسلت شعراً هو ابقى على الزمان الجحود
ومعان كأنها وشوشات الورد حيناً ووسوسات النهود
صور كالحسان كهربهن اللحن فاندحن مائجات القدود
تلك تشدو وهذه ترعش الصدر على شهقة الضياء الشرود

***

يا ابا الثورة العصوف على الظلم وهادي الشعوب للتوحيد
علموا منك انهم خالقو الاصنام عبادها، ضحايا الجمود
هم ارادوا كسرى وقيصر للعرش ونيدون للقضاء المبيد
كم خدمت البلاد تدعو مهيباً ببنيها للهدم والتشييد
حسبوا الشعب سلعة واماني الشعب ملهاة حاكم عربيد
يا نصير الشعوب من للطواغيت يريهم عواقب التنكيد ؟
ان للشعب غضبة تسحق الطاغوت، تزري بوعده والوعيد

***

اي فتي بعلبك ما لشموس الكون فيها تجمعت للسجود ؟
حين اسرت بك العذارى الى «البرناس» يعولن لاطمات الخدود
اصلاة لروحك الطهر تتلو كالتي حين انبثت بالوليد ؟
ام تراها في مأتم الشعر ثكلى كابيات الاضواء حسرى الكبود
سر هنيئاً يا راهب الهيكل السمح الى هيكل السما الموصود
كنت فيه تنهل قربان نور وصلاة على مساء الوجود
وتمد الشموع باللهب الاقدس من روحك الثري النجيد

***

ايها الساكب النشيد على الارواح خمراً عزت على العنقود
فتنتك الضاد الخلوب فكنت الوتر البكر في القديم الجديد
ونداماك لم يزالوا على العهد سكارى من دنك المعمود
فهم كلما احسوا فراغاً واشتياقاً طافوا به للورود
واحة انت في الهجير لقلبي اتقيه في ظلك المحدود
يا معير الشموس بعض سناه ودليل النسور في التصعيد
لك ارجوحة الخلود على السدرة تزهى بعبقري الخلود
مع «شوقي» و«حافظ» في الاعالي فيسر الثالوث بالتوحيد

***

هذه دمعة الوفاء دعاها نسب بيننا كريم العهود
كانتساب اللحون للوتر الملهم، كالعطر بين ند وعود
جئت دنياك كالشعاع كريماً ثم فارقتها كنفح الورود

طرابلس — علي منقارة
من ندوة عبقر

الشاعر الطليق

ويك يا صاحبي، امات الخليل وثوى الشاعر الوقور الجليل ؟
ليس بدعاً في ان يموت ولكن صدى الموت للاناسيّ غول
وفراق الالآف يخترم الانفس حزناً، فيعتريها الذهول
والمنايا رواصد ودوان ما لدينا الى الفكاك سبيل
سنة الكون ما لها تبديل : ذا مقيم، وغيره محمول
انما يصدع القلوب من الموت فراغ المكان ممن يزول،
رقد الشاعر الذي كان بالامس لالحان شعره ترتيل
وسد الهيكل المحطم من القبر، ووارته ظلمة وسدول
واستقلت بروحه الحور تجتاز الى حيث تجتليه العقول
يذهب الناس للغناء وسيبقى بعدهم في الوجود ذاك الهديل
ويناجيه في الغدو وفي الآصال من وحيه الملمّ رسول
بارزاً كالخيال في كل شيء حاضراً غنه ذكره الموصول
فهو آناً تراه في القمم الشم، وآناً بين الربوع يجول
أو تراه مع الربيع اذا اقبل بالحب والحياة يميل
او خلال السحاب يعبر في الافق، وللبرق ومضة وصليل
اينما همت في الفضاء تراه خاطراً يستعاد فيما يقول
ذلك الشاعر الطليق فما مات، ولكنه طيوف تحول
خالداً بالقريض يطفو على الدهر، ومحياه بالخلود مثول
فليكن منه للجميل عزاء فجميل العزاء نعم الجميل ! !

القاهرة — عبد السلام رستم

دفاع خير منه الاتهام

بقلم امين يوسف غراب

●

تفضل حضرة الاديب الاستاذ « انور المعداوي » وهو من كتاب الرسالة الدائمين في هذه الايام ، فرد علينا في الرسالة الغراء رداً كريماً مهذباً نشكره عليه ونحفظه له وننشره مرة اخرى ليطلع عليه من لم يطلع . اذ لا يهم « الاديب » على ما نعتقد سوى ان يقرأ — ادبه — اكبر عدد ممكن من القراء . قال حفظه الله وزاد في ادبه .

« قيل ان الذبابة هبطت يوماً على رأس الفيل ، فلما يئست من ان تشعره بوجودها قالت له يا عزيزي اني طائرة عنك . ونظر اليها الفيل ضاحكاً ثم قال . والله ما احسست بك طائرة حتى احس بك هابطة . تذكرت هذه القصة الطريفة وانا استمع لمن نقل الي خبراً فحواه ان قصاصاً من القصاصين العوام اجترأ ان يتهمني في احدى الصحف اليومية بالسطو على احد الافكار من قصصه لتردان بها قصتي « من وراء الابد » اما هذا القصاص العامي النابغ الذي اراد ان يشعرني بوجوده كما فعلت الذبابة الخالدة فهو السيد امين يوسف غراب . . واود ان اقول لهذا القصاص الذي لا اشك لحظة في انه درس فن القصة في كتاب القرية . اود ان اقول له انه لو قدر له ان يعاصر المثال الفرنسي العظيم رودان لألهمه الابداع في صنع تمثال يمثل الغباء النادر . . ذلك لانه لو خطر لي ان انقل فكرة عن احد القصاصين ، فان الذوق يفرض علي ان الجأ الى اعلام القصة في ادب الغرب . عندي مثلا في الادب الفرنسي بلزاك وديماس وفلوبير وزولا وموبيسان . وعندي مثلا في الادب الروسي تولستوي ودستويفسكي وترجنيف وتشيكوف وجوركي . وعندي مثلا في الادبين الانجليزي والامريكي ديكنز ولويس ولورنس وبوموم فمن يصدق انني اترك تلك القمم حيث يحلق النسور لاهبط الى السفوح حيث يحلق الغراب » .

هذا ما تفضل به « الاديب الكبير » رداً على الخطاب الآتي الذي بعثنا به الى الاستاذ صاحب الرسالة عندما وضح لنا ان « الفيل » الكبير ، او النسر القدير الاستاذ انور المعداوي « سرق » قصة لنا كنا قد نشرناها في مجلة السينما المصرية في العدد رقم ١٠٠ الصادر في ٦ فبراير سنة ١٩٤٧ بعنوان — فيوليت — ونشرها باسمه الكريم في مجلة الرسالة الغراء العدد رقم ٨٢٨ الصادر في ١٦—٥—٤٩ بعنوان « من وراء الابد » بعد ان قدمها بمقدمة لا نظن ان كاتباً من كتاب الغرب الذين تفضل بذكرهم واظهر انه يحفظ جيداً اسماءهم ، قدم قصة لنفسه بمثل مقدمة الاستاذ الكبير لقصته المسروقة . ولكنها — امية المتعلمين — كما قال اديب من الادباء .

وهذا هو الخطاب الذي ارسلناه الى الاستاذ صاحب الرسالة بطريق البريد المسجل تحت رقم ٩٠٥ بتاريخ ٧—٦—٤٩ .

حضرة الاديب الكبير والاستاذ الجليل صاحب الرسالة :

تحيتي واحترامي . . لفت نظري في عدد الرسالة الغراء رقم ٨٢٨ الصادر في ١٦—٥—٤٩ مقدمة لقصة بعنوان « من وراء الابد » للاديب الفاضل الاستاذ انور المعداوي يقول فيها — الى الذين يفهمون القصة على خير ما تفهم القصة ، على انها لوحة نفسية وظلال انسانية وفكرة من اعماق الحياة — فاقبلت عليها اول ما قرأت في الرسالة ولكن لا اطيل عليك ، ولا انا ايضاً بمطيل على نفسي . فقد وجدت القصة ويؤسفني جد الاسف ان اقرر لك ذلك ، صورة مشوهة لقصة نشرت لنا بمجلة السينما المصرية العدد رقم ١٠٠ الصادر في ٦—٢—٤٧ تحت عنوان « فيوليت » وقد رأيت ان اوفر عليكم جهد البحث فارفقت مع هذا لحضرتكم اصل القصة المنشور واعني به العدد الذي نشرت فيه قصتنا التي سرقها الاستاذ المعداوي . او بمعنى اصح جسدها الفني السليم الذي تناوله الاستاذ المعداوي بالتمزيق واحاله خلقاً مشوهاً آخر . وصدقني اذا قلت لكم انني دهشت لهذا التصرف الشاذ . اذ كيف يلقي

الاستاذ درساً على تلاميذه ، بينما الدرس نفسه لتلميذ من التلاميذ .
وهل ذنبنا اننا لم نتعاظم ولم يركبنا الغرور فتقدم قصة لنا بمقدمة كمقدمة الاستاذ الكبير . . ونعني به – انور المعداوي – ولا نعني كما قد يظن موبيسان رحمه الله ، او تشيكوف طيب الله ثراه ، او جوركي حشره الله حشراً في زمرة التلاميذ لا الاساتذة . ولذلك اود ان تصدقني اذا قلت لكم مرة اخرى انني راجعت نفسي كثيراً قبل ان اتشرف بالكتابة اليكم لعل العكس يكون هو الحقيقة ، ويكون الاديب الكبير الاستاذ انور المعداوي هو الذي نشر قصته في مجلة السينما من عامين او اكثر ، وانا الذي سرقتها منه من اسبوع او اقل ونشرتها في الرسالة الغراء . ونقلتها هكذا دميمة مشوهة تؤذي بدمامتها العين وتجرح الضمير ، ولكن رغم انفي كان العكس ان صح هذا التعبير .

واخيراً فقد جئت الى شيخ الادب محتكماً في اعتداء احد الاساتذة على احد التلاميذ واملي ان يتغلب عدله على عطفه فيأخذ التلميذ بحقه من الاستاذ الكبير » .

***

هذا هو نص الخطاب الذي بعثنا به الى الرسالة ، ولما لم تتفضل علينا بالرد او الاشارة الى هذا الخطاب او حتى اعادة الدليل المادي على السرقة الذي ارسلناه اليها وهو العدد الذي نشرت فيه قصتنا . وانما تفضلت ونشرت للاديب الكبير عدة رسائل يقول حضرته انها وصلت اليه من انحاء المعمورة ومنها طبعاً بلاد تركب الافيال ، تمتدح قصته وتثني على ادبه ، وتسأله الكثير المزيد من هذا القصص الخالد ، وقد تفضل حضرته ، استغفر الله بل حضرة – المؤلف العظيم – و – عقب – على هذه الرسائل في غير مبالاة بانه حفظ للمادحين مدحهم وشكرهم ، ورأينا من ناحية اخرى بعض الصحف تعلق على هذه – السرقة – وتتحدث عنها . اضطررنا الى نشر هذا الخطاب في احدى الصحف اليومية – جريدة صوت الامة العدد ٨٩٧ الصادر في ٣ يوليو سنة ٤٩ ، وعلقنا عليه بما يفيد اننا لم نقصد من وراء كتابة هذا الخطاب اصلاً سوى ان يقف الاستاذ صاحب الرسالة على بعض ما يمثل على صفحات مجلته باسم الادب والنقد ، وان نقول للاديب الكبير الاستاذ انور المعداوي ، انه ظلم نفسه بسرقة اول قصة نشرها في حياته وآخر قصة ايضاً ، ونقول آخر قصة لانه لو كان في استطاعته ان (يؤلف) لما تورط فيما انحدر اليه . ونحن نحاسبه هذا الحساب لنحفظ لهذا الفن قدسيته ، ولنقول له ايضاً انه من الخير له ان يعتمد على قلمه ان كان لا بد له من ان يكتب ، وان كان لا بد له من ان ينشر ، واخيراً ان كان لا بد له من ان يشتم الناس .

وبطبيعة الحال نحن لا نستطيع ان نجاري الاديب الكبير في ادبه فنجترىء ونرد على رده الكريم ، لان الكتاب الذي تخرجنا فيه وعلمنا فن القصة ، لم يعلمنا « عريفه » كيف نحسن الرد على فئة من الناس او نتأدب معها . وانما علمنا حقيقة كيف نعتز بهذا الفن ونحرص عليه ، ولا نسمح لدخيل من الدخلاء ان يتطاول عليه بله يسرقه وينسبه الى نفسه وينشره مشوهاً مبتوراً .

ولاننا لا نريد ان نرجع مرة اخرى الى هذا الموضوع فنحن ننشر قصتنا التي سرقها منا هذا الاستاذ الخالق الكبير لانه من المتعذر على – القارىء – وهو الذي يهمنا في الامر ان يطلع عليها ولا سيما وان المجلة التي نشرت فيها توقفت عن الصدور – وان كان يمكن طلبها على العنوان الآتي – ٢٥ شارع توفيق القاهرة . الاستاذ كامل الحناوي – اما قصة الاستاذ الكبير فهي في الرسالة ويمكن الحصول عليها . وليس ذلك لكي نؤكد الاتهام فهو ليس في حاجة الى التأكيد ، ولكن لنرد الى قصة عزيزة علينا ، ما فقدته من قيمة بعد ان شوهها قلم من الاقلام . وبترها كاتب من الكتاب ، وتطاول عليها اديب ناشىء لا يعرف عن هذا الفن اكثر من اسماء اعلامه الذين ينقل عنهم ويسرق منهم .

ولعل الذبابة بذلك تكون قد اخذت بحقها من – الفيل – الكبير ، وليس هذا بعجيب ، وليس هو ايضاً على الله بعزيز « الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل . الم يجعل كيدهم في تضليل ، وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول » صدق الله العظيم .

●●●

كان

ذلك قبل الحرب العالمية الثانية . وكانت باريس هي باريس غانية الدنيا وعروسها البكر ، تصطخب جمالاً وتفيض رواء ، وتجري في عروقها مفاتن الحياة ومباهج الدنيا ، وكنت اذ ذاك اطلب العلم في السربون . وكنت دائماً اتردد على – كافيه دي لامار – وكانت هي ايضاً تتردد على هذا المقهى الزاخر بالرواد الغرباء . وقد لفت نظري اول ما رأيتها اشياء واشياء . وحدتها الدائمة التي لا تسمح لاحد بان يجترىء عليها . . ثوبها الاسود الحزين دائماً الذي كان لا يختلف

لونه ان اصبحت او امست .. جمالها الزاخر الفياض بمباهج الفتنة والاغراء ، والسجن في ذلك الثوب الاسود الحزين حتى ليخيل اليك وانت تتحسسه بعينيك وترى سهومه ووجومه انه انما يفكر في الانطلاق من هذا الاسر لينساب معربداً في القلوب ، او هو يفكر في ماضيه الحبيب قبل ان يقع في غياهب هذا السجن الاسود الذي يحيط به . وكثيراً ما فكرت في ذلك كله كلما اختلست عيني نظرة اليها . وفكرت في ان اعمل على اكتشاف سر هذه المرأة صاحبة الجمال الحزين – التي تتردد كل يوم على هذا المقهى وتجلس منفردة الى احدى الموائد تشرب كأساً من الجعة تحرق عليه عدة لفائف من التبغ ، ثم تنصرف صامتة كما تقبل صامتة لا تكلم احداً ولا يكلمها احد – بان اتبعها مثلاً حتى اعرف اين تقيم او اقتحم عليها وحدتها يوماً واسألها ان تشرب معي كأساً من الجعة التي تحبها او تشاركني حرق لفافة من التبغ ، ولكن مجرد تفكيري في اقتحام سياج هذه الوحدة او تمزيق حجب هذا الصمت ، وما قد يسببه لها هذا من ضيق ، كان يثنيني عن هذه الرغبة ، ويجعلني اكتفي بالنظرة اختلسها اليها كلما جاءت دون ان اعرف عنها اكثر من ان اسمها – فيوليت – وانها تتردد على هذا المقهى منذ عام مضى ، وانها تجيء اليه كل يوم لتجلس منفردة الى هذه المائدة التي تجلس عليها ، تشرب كأساً من الجعة ، وتحرق عدة لفائف من التبغ وتنصرف . وظللت كذلك وكل يوم يمر واري فيه هذه المرأة الغامضة والمح فيه جمالها الحزين السجين في اغلال من السواد . يزداد تفكيري فيها وانشغالي بها . الى ان جاء يوم ذهبت فيه الى المقهى وجلست الى مائدة تصادف انها كانت قريبة من مائدتها الخالية . ووضعت امامي باقة جميلة من زهر البنفسج كان قد اهداها الي صديق شرقي يشتغل ببيع الزهور في باريس ويقع حانوته في مكان قريب من كافيه دي لامار ، وكنت اكثر من التردد عليه والجلوس عنده الساعات الطوال وبعد حين اقبلت صاحبة الثوب الاسود والجمال الحزين وجلست في مكانها المعتاد . وطلبت الجعة وراحت تحرق عليها اللفائف . وانفلتت من عيني نظرة الى وجهها فالفيتها تنظر الي ، وقد سرني هذا بطبيعة الحال لانها اول مرة نظرت الي فيها . واردت ان احتفظ لنفسي بهذا السرور الذي غمرني وهذا الربح الذي ظفرت به ، فرجعت ببصري سريعاً حتى لا اسبب لها احراجاً ان كانت حقيقة تنظر الي ، فاخرجت علبة لفائفي واشعلت واحدة وعلى الرغم مني اختلست عيني نظرة اخرى اليها ، فاذا بها ما زالت تنظر الي وتحملق في وجهي حتى لكأنها تريد ان تلتهمه التهاماً بعينيها . ولا تسأل عن فرحتي عندما وضح لي ذلك وتحقق هذا الحلم الجميل ، ورحت كطفل اتطلع اليها انا الآخر واغمرها بنظراتي التي تكاثفت على وجهها وكأنها شبكة محكمة الاتقان حول صيد جميل . غير ان ذلك لم يدم طويلاً فقد تركت مكانها فجأة وجاءت الي وصافحتني في حرارة كما لو كانت تعرفني من قبل ثم جلست بجواري من المائدة تقول وهي تنظر الى باقة البنفسج .

– اتحب انت زهرة الفيوليت ؟؟

فقلت متلعثماً من فرط ما الم بي من هناءة .

– كل الحب !

فقالت وهي ما تزال تنظر الى الباقة التي امامنا على المائدة .

– ولكن ترى من اهدى اليك هذه الباقة الجميلة . او لمن انت يا ترى ستهديها؟

فقلت وكنت قد تعلمت من نساء باريس كيف اكون لبقاً مع النساء . الجميلات .

– انني سأهديها لمن تحمل اسم هذه الزهرة الجميلة .

وكأنني قلت لها شيئاً طيباً جداً . فتهلل وجهها واشرقت اساريره فجأة وقالت في صفاء جم اضفى على الوجه الكثير من التألق والنور .

– اتعرف انت .. ان اسمي فيوليت .

– ومن اجل هذا احببت سميتك في الزهور . وجئت بنفسي لاهديها اليك .

فصمتت قليلاً كمن يفكر في شيء كبير ، ثم رفعت هدباً طويلاً كان مسترخياً وتمتمت وهي تتحسس باناملها في حنان اخاذ زهرة متفتحة من ازهار الباقة .

– ولكن هل تعرف بانك انما تقدم الي الدنيا باسرها .

فأجبت سريعاً في نشوة المنتصر .

– انني لم افعل اكثر من انني

قصة

قدمت زهرة الى زهرة .

فشكرت لي هذا الثناء الذي يسرها ان تسمعه مني بالذات كما شكرت لي هذا الجميل الذي لن تنساه وهو هديتي اليها، واستأذنت منصرفة ولكن بعد ان تواعدنا على اللقاء .

وكان اللقاء الثاني في بيتها . وهناك عرفت حقيقة كيف تحب هذه المرأة زهرة البنفسج ، وكيف انها كانت صادقة عندما قالت انني قدمت اليها الدنيا عندما قدمت لها باقة من هذه الزهور . فقد استقبلتني في بيتها استقبالا جميلا لا زلت اذكره ، واكرمتني – فيوليت – الى حدانها اشعرتني من اول لقاء ان بيتها بيتي وانها صديقة مخلصة لي ، وانني انا اعرفها من زمن يرجع الى سنوات لا الى ساعات هي التي تفصل بين النهار والليل او بين اللقاء الاول واللقاء الثاني . ومما لفت نظري ذوقها الجميل وسلامته في تنسيق بيتها الجميل الذي تقطنه بمفردها والذي زينت كل غرفاته برسوم متعددة تمثل زهرة الفيوليت التي تحبها . حتى غدا البيت في مجموعه وكأنه باقة خالدة من هذه الزهرة . ولقد حالفني التوفيق في هذا اللقاء الثاني ، كما حالفني الحظ في اللقاء الاول لانني حرصت على ان آخذ لها باقة اخرى من هذه الزهور تعاونت مع صديقي الشرقي في تنسيقها وتجميلها حتى غدت فعلاً باقة جميلة للغاية ، وماذا يضيرني اذا قدمت اليها في كل يوم – دنيا – جديدة لا يكلفني ثمنها غير قروش معدودات . والغريب انها فرحت بهذه الباقة الثانية اكثر من فرحتها بالباقة الاولى . فقد لاحظت وهي تتناولها من يدي ان كل شيء فيها يتألق كأنه النور . . نظراتها التي غمرتني بها حتى لكأنها السيل . . ضحكاتها التي كانت توقعها الحاناً شجية . ابتساماتها التي كانت توسلها التماعات فتومض مضيئة في عيني حتى لكأنها انعكاسات القمر فوق الغدير . . حتى ثوبها الجميل الذي استقبلتني به والذي حلت صدره بزهرة يانعة من زهور البنفسج كان هو الآخر يتألق على جسدها الذي انساب فيه كالجدول النشوان في ليالي الربيع ثم راحت وسط هذه النشوة التي تفيض عليها تتحسس كل زهرة في الباقة التي وضعتها على صدرها وتقبلها بشغف وكأنها تقبل انساناً تحبه .

وهكذا وبسبب – باقة من زهر البنفسج – احبتني غانية من اجمل الغانيات اللواتي عرفتهن باريس ، وفتحت لي قلبها ودارها ليلة في الاسبوع، كنت اذهب اليها فيها ولا اغادرها الا في الصباح، دون ان يكلفني ذلك كله سوى شلنات معدودة هي ثمن باقة جميلة من زهر البنفسج اقدمها اليها ، فقد كانت هذه الباقة عندها هي اثمن ما يقدم اليها في الوجود لا يعدلها شيء ولا حتى حياتها كما قالت لي ذات مرة . اذ اذكر انها، في ذات ليلة وكنا في نشوة من نشوات الهوس وغمرة من غمرات الهيام ، تركتني فجأة وغادرت المخدع سريعاً . ولم تمكث غير بعيد حتى عادت تحمل على صدرها العاري المعربد الذي يتفجر شباباً وانوثة طائشة ، باقة البنفسج التي احضرتها معي في المساء ، وتقول وهي تنظر اليها ذاهلة من فرط نشوتها . . انظر . . انظر الى الزهرة . . زهرة الفيوليت . لكم هي جميلة . . لكم هي رائعة . . كم هي حبيبة الى القلب، اثيرة على الفؤاد ، عزيزة على الروح . . ما ضر لو قبلتها معي . . الم احبك من اجلها . فلماذا لا تحبها انت من اجلي ؟؟ ثم التقت بها على صدري ومن ثم لفت ذراعيها العاريتين حول عنقي فانطرح شعرها اللامع المسترسل على رأسينا وغدا كغمامة تظلل قبلاتنا للزهر ، ومكثنا كذلك حيناً حتى تعبت شفاهنا فاستلقينا ثلاثتنا انا وهي وزهرة البنفسج .

واذكر ايضاً انني ذهبت اليها ذات ليلة وكانت ليلة اللقاء وكان قد شغلني شاغل عن اخذ الباقة معي ، فغضبت لذلك غضباً شديداً واتهمتني بانني لا احبها وانني لا اخلص اليها والا كنت احضرت اليها معي الشيء الذي تحبه . . ولولا بقية من حياء تحتفظ به الفرنسية حتى وهي في لحظات اشتعال التبذل، لطردتني فيوليت من بيتها شر طردة ولردتني عنها رداً غير حميد ، ولكنها ملكت زمام نفسها وان كانت من شدة الغيظ تهالكت على نفسها وارتمت على صدري باكية . وظلت كذلك الى حين حتى اخذتها سنة من النوم فاستسلمت الى الفراش ذابلة الهدب منطفئة الجبين ،ولا يعلم سوى من عرف الحب قلبه كيف قضيت الليل بجوارها مسهداً احاسب نفسي حساباً عسيراً .

ومن ذلك حرصت على ان آخذ لها معي زهرة البنفسج حتى ولو كلفني ذلك حياتي . . وهل حياتي تقاس بشيء اذا ما فقدت – فيوليت – يوماً . . ومكثنا على ذلك زمناً لا اعرف اطال ام قصر . حتى حدث ذات ليلة وكنت معها على ميعاد ان بحثت عن زهرة البنفسج في كل انحاء باريس فلم اجدها ، واسقط في يدي ووقعت في حيرة كبيرة . اذ لا بد من ان اذهب اليها ولا بد من ان يكون معي الشيء الذي تحبه، والا سببت لها آلاماً لا حد لها . وفكرت في الامر وماذا اصنع . . ورحت مرة ثانية وثالثة امر

على حوانيت بيع الزهور ولكن من سوء الحظ الذي لازمني في ذلك اليوم ان كانت زهرة الفيوليت لا اثر لها في باريس من يومين وذهبت محزوناً الى صديقي الشرقي الذي يبيع الزهور للمرة العاشرة او العشرين لا ادري ورحت اشرح له في ثورة العاشق ونزق المحب ما انا فيه من ارتباك وما سأصيب من احزان ان لم اظفر بهذه الزهرة الليلة . فافهمني بانني انما اتعب نفسي بلا طائل ان انا عاودت البحث عنها . ولكن علي بان ارمي بآخر سهم . وهو ان اذهب الى حانوت — شارل — الذي يبيع الزهور عند المقابر . واسأله عن هذه الزهرة فان لم اجدها عنده فعبثاً احاول الحصول عليها في مكان آخر .

وركبت العربة في ذلك المساء القاتم الممطر ، ومكثت حوالي الساعة لا اسمع غير قرقعة العجلات على الثلج الى ان بلغت حانوت شارل القائم هناك في طريق المقبرة النائية ليبيع الزهور للموتى ، واسرعت اليه وكل متمناي ان لا يردني خائباً حتى اريح القلب الذي كان شوقه الى الحبيب هو شغله الشاغل . وما ان سألته عن باقة من زهر الفيوليت وبالثمن الذي يريد حتى اجابني ذلك التعس وهو يبتسم ساخراً من هذا المطلب العزيز المنال من يومين .

ورجعت بالعربة كسير القلب محزون الفؤاد يكاد يخنقني الضيق الذي الم بي وجثم على صدري ويهمد انفاسي . ويكاد يقتلني الغيظ من الحظ المنكود الذي يريد حرماني من [illegible] زهرة من زهور البنفسج . غير انه حدث وكثيراً ما ينبلج النور فجاة وينير طريق التعساء من الناس ، انه عندما كانت العربة تسير الهوينا مخترقة الطريق الذي على جانبيه اقيمت المقابر وعليها التماثيل والصلبان كأنها محاريب الازل ، ان لمحت مصادفة باقة من زهر البنفسج جميلة الرواء رائعة التنسيق كأنها من نضارته موضوعة لساعتها على قبر من القبور كان في زينته وجمال زخرفته اشبه بتحف من متاحف الفن . وما ان رأيتها حتى تعلقت عيني بها . وطرأت علي فكرة ومضت في خاطري وميض البرق في ليالي الشتاء وفجأة سرح عقلي لحظة ثم عاد سريعاً وهو اشد ما يكون ابتهاجاً بهذه المصادفة الجميلة وهذه الفكرة الصائبة التي اختمرت في رأسي ، وعلى حين بغتة امرت السائق فوقفت العربة ، ثم غادرتها وابتعدت عنها قليلاً ، ومن ثم تسللت خلسة وانتزعت الباقة من مكانها على القبر وخبأتها سريعاً في طيات المعطف ، ثم رجعت الى الحوذي مسروراً لانني عثرت على علبة لفائفي الذهبية التي سقطت مني في الطريق كما غررت بالحوذي الساذج وافهمته . ثم انطلقت بنا العربة وانا اسعد ما اكون انساناً بالحظ الذي يعرف كيف يبسم فجأة وعلى غير انتظار . وفي قلب العربة اخرجت الباقة الجميلة ورحت انسقها من جديد وظللت بها حتى خلقتها خلقاً آخر . ثم ذهبت تواً الى فيوليت التي استقبلتني رائعة الجمال في ذلك — الروب — البنفسجي الذي عرفت كيف تصنع منه زهرة يانعة راحت تتألق على جسدها الجميل .

وسألتني طروبة عن سبب تأخري عليها هذا المساء ، على غير العادة وكانت لم تر الباقة بعد لانني اعطيتها للخادم التي وضعتها في البهو فافهمتها مبتهجاً بان اعداد اجمل باقة من زهر البنفسج ستقدم اليها ، هو الذي سبب لي هذا التأخير ، ثم تركتها وركضت الى البهو كطفل سعيد ، وعدت سريعاً احمل اليها على صدري الباقة الجميلة ، وما ان رأتها حتى ارتدت فجأة مرتعبة مأخوذة مكفهرة الوجه تقول :

— من اين احضرت هذه الباقة ؟ ؟

فقلت مأخوذاً من هول المفاجأة غير المنتظرة .

— من عند بائع الزهور الشرقي الذي كثيراً ما حدثتك عنه .

فجحظت عيناها واربدت ملامحها وقالت وهي تقبل علي كلبوءة مفترسة مكشرة عن عينين تنقذف منهما النار .

— ان زهرة الفيوليت لا وجود لها في باريس من يومين .

ثم اقتربت خطوة اخرى وعقبت بصوت ما زلت اذكر حرقة صدام

— قل من اين جئت بها .

— من عند بائع الزهور . . صدقيني .

وما ان قلت ذلك حتى صرخت صرخة مدوية وهي تقذف بالباقة في وجهي .

— هذه الباقة انا التي احضرتها اليوم من — ليون — بالطائرة .

ثم امسكت بتلابيبي صارخة مرة اخرى وهي تنشب اظافرها في شعري لتلقي بي خارج الدار .

— قل من الذي ذهب بك الى المقبرة ايها الوغد .

ثم سقطت على الارض تتلوى وتبكي فجيعتها في الباقة التي كانت قد وضعتها بيديها عند المساء على قبر حبيبها « ريمون » الذي كان يحب الفيوليت ومن اجل ذكراه اسمت نفسها فيوليت وعبدت هذه الزهرة ، وعبدت من يحبها الى هذا الحد . . حد احتراق الجسد على مذبح ذكري من تحب .

القاهرة — امين يوسف غراب

صور فنية : تشايكوفسكي

بقلم سعيد جمعه

يرجع عهدي بتشايكوفسكي Tchaikovsky (١٨٤٠_١٨٩٣) الى اربع سنين خلون، حين جلست استمع، مسحوراً، الى شيء من موسيقاه السمفونية في «فيلم اغنية الروسيا». وخرجت وأنا اهمس لنفسي بقولة « شيلر »: « أيها الواجب اعبدك ! ولكن اسمح لي ان احبك ! » وحققت نجواي ، فوصلت اسبابي بـ وصلت اليه يدي من آيات هذا الانسان العظيم . . من السمفونيات الست . . الى « الكونسرتات » . الى « اوبرا جان دارك » . . الى « روميو وجوليت، هملت، فرانسسكا، العاصفة » . . الى « باليه بحيرة البط، الجمال النائم »، فما والله زادني طول العهد به الا حباً واكباراً !

***

اعظم آثار هذا الفنان المبدع، السمفونيتان الرابعة والسادسة. وللتعريف بهما ، أرى لزاماً ان اعرض للاسباب العاطفية ، والمتاعب الروحية والآلام الفكرية التي بعثت على وضعها وتأليفها :

كان « تشايكوفسكي » سرياً حتى اطراف انامله — ان صح هذا التعبير — كان جميل الخلق والخلق، يمعن في الخمر والحديث بدماثة اصيلة، دون ان تلحظ عليه رعونة، او تؤخذ عليه مجانة . ولم تكن الشهرة لتستهويه، ولا المجد ليغريه، بل كان يهمه حرصه على اداء رسالته، ومع ذلك أتته العظمة منقادة . لكن نزوعه الى اللانهائي جعله ذا مزاج مكتئب؟ فبينما كانت الحانه تملأ الدنيا اريحية ونبلاً، كان هو يتلوى في غربة سحيقة، لا تصبو الى اليف ولا تحن الى همس حب او نجوى غرام .

قال مرة لاحد اصدقائه : « لا تعجب اذا رأيت امرءاً، دانت له الشهرة : يشكو البث . النجاح لا يطوي الالم » !

كان غريباً ، لانه كان عظيماً ، هو كالتمثال المرفوع على قاعدة ، تسمو به فيرمي ببصره فوق رؤوس القطيع ، دون ان يسف مرة الى موضع يده! مثل هذا يطلب عبادة ، لا يستجدي حباً!

مفتاح شخصيته ، حياؤه العقيم . غير ان الناس لم يرحموا غربته القاتمة وعزلته الفاجعة، فرموه بالضعف الجنسي ، واكرهه اخوه على الزواج ، دفعاً لقالة السوء ، فتزوج . لكن اي زواج ؟!

لقد اورثه حياؤه ، وأرجاف الناس ، تلك العاهة حقاً ، فهو مع زوجه رجل غير سوي . ورضيت الزوجة بحظها المقسوم ، ومنحته رعايتها وعطفها . لكن ألمه النفسي ، كان اقوى من ان يتألفه وفاؤها واخلاصها ، فأوسعها مقتاً ، وود لو خنقها بيديه ، ليعفي نفسه من سماع الآخرين الموكلين بايذائه ، يسألونه : « كيف انتونينا ؟ الزوجة الصغيرة الجميلة » .

وضاق به رحب الفضاء ، فمضى مع شقائه ، يطوف الشوارع على غير هدى ، في الاماسي الرطبة ، رجاة ان يصاب بمرض، فيريح ويستريح . وجاءه المرض كما اشتهى فأرسله ذووه للاستشفاء في مكان قصي . . وهكذا قدر له اخيراً ، ان يفر من حقيقة وجوده المزعجة ، على غير نية في معاودة زوجه .

وهنا ، خلا بأشجانه وفنه . واعانته موهبة خارقة وحساسية مرهفة على تنسيق النغم المنبثق من اشواق قلبه المعنى ، ونداآت روحه الحنون ، فوضع « سمفونيته » الرابعة التي تصف وصفاً موضوعياً دقيقاً ، نضاله مع القدر الطاغي ، متنقلاً بين الخيال المجنح والواقع السخيف . بين السعادة المشرقة واليأس المظلم بين الخلق السمح وهو يعيش مع آياته ، والخلق القاتم حين يصحو من رؤى عالمه العلوي ليلاقي الحوادث وجهاً لوجه !!

وتفسير الانفعالات والخوالج التي يوحي بها البناء الفني الكامل في هذه السمفونية هو : انه، عندما يشتد يأسنا نلجأ الى خيالات الاحلام، وشيئاً فشيئاً تتملك الاحلام ارواحنا فتحقق لنا سعادتنا ثم لا نلبث ان نستيقظ على صوت الملابسات والاوضاع، فنحس بصدمة الهبوط من اعلى الى ارض الواقع الصلدة لكن ليس صواباً ان يظل الفنان مغلفاً بآلامه. هناك لحظات السمو والاشراق . . لحظات الاستغراق في الابداع، حيث تعلو الذات الفنانة الخالقة على الذاتية . . وعلى الزمان والمكان، فتنسى مضمونها المادي، وتحيا برهة وجدانية مجردة، هي اشبه بتهويمة العقل، جللته بوادر سكر . وتغرق الروح في خدر مسعد لذيذ، يتسع للمتناقضات فلا افراح ولا اتراح، بل امتداد واتساع وشمول . وفجأة ترد على الخاطر صورة طارئة . . صورة فلاح ساذج ملتاث سكراً، تداعب خياله نغمات اغنية بعيدة الصدى من اغنيات الشوارع ، يرافق ذلك صوت داخلي يهيب بنا : اذا لم تجدوا السعادة في انفسكم فاطلبوها في الآخرين . . وامنحوها للآخرين . . انظروا الى القطيع السادر كيف يغنم الصفو وينعم بالمسرات ؟ اذا غرر القدر « بتشايكوفسكي » وعزه الصبر ، فليخلع نفسه من مجال حسراته السود وليراقب الناس كيف تستهويهم المباهج !؟ . . أرأيت الى افراحهم ؟ . . أرأيت الى بساطتهم الخيرة ؟ . الا كم هم

سمداء باستجابتهم لتلك المشاعر الساذجة.. فلنذوب آلامنا في افراح الآخرين تجملا وفضلا، ولنعش في سلام مع انفسنا ومع الناس.

وهكذا تأتي السمفونية الى نهايتها المفرحة المتفائلة، بعد ان ينتصر الانسان بشرف ضميره وروح الايثار فيه على القدر الجائع بقسوته وجبروته.. ينتصر بطاقة عظيمة الهزة جليلة الايحا، من النغم الدافيء العميق. هذا تحليل مركز لموضوع هذه الطرفة الخالدة، والقول غير السماع! ولعل القراء يدركون المعنى الفلسفي الذي يقوم عليه ذاك البناء الفني الذهني الروحي النابع من المعين المعطاء الذي صدر عنه عمالقة الانسانيين امثال «روسو. وتولستوي. وطاغور» واضرابهم.

***

والسمفونية السادسة تشبه الرابعة في اتجاهها وموضوعها وطريقة تأليفها، مع اختلاف في الدواعي والاسباب.

كان هناك مخلوق واحد على علاقة ودية محضة مع «تشايكوفسكي» لكنه كان وداً خيالياً مثالياً نقيا، ود مراسلة، لا ود لقاء.

ذلك المخلوق الطيب. بل تلك الانسانة الفاضلة، هي «مدام فون مك». كانت امرأة نصفاً حنوناً. ارملة ثرية محافظة ام بنين... مشغوفة بالموسيقى شغفاً يبلغ حد الهوس. سمعت صدفة احد الحانه فحدثت نفسها: «يا الهي! اي نبل، واية عظمة؟ هذه الانغام الآتية من شرفات الغيب والالهام». وكتبت اليه في الحال تستجدي صداقته، وتمنحه ودها ورفدها.

وكان هو حينذاك في السادسة والثلاثين تتقاذفه امواج النغم دون ان يجد شاطئاً امينا قيد الرؤية، وهذا هو اخيراً يجد الدفء في ذلك الاتصال الروحي المثالي العجيب، الذي ذلل متاعبه المادية، وكفاه ذل الحاجة ومشاكل العيش!

واطمأنت روحه الحيرى، فقد كانت لمسة واحدة من حنان تلك المرأة كفيلة بأن تغسل جراحه وتطامن من لوعته وتدفعه الى الامام..

ولم يكن اللقاء يشوقهما. كانا يخشيان لو تلاقيا، ان يصدمهما الواقع القاسي: فيتاركا على غير شيء، رجته يوماً ان يزور دارها في غيابها ليعيش في جوها المعطر بأنفاسها، ويترك لها اقباساً من انفاسه تحيا عليها!! مرة واحدة، التقيا على غير موعد، فنظرت اليه، ونظر، وتطارحت العيون حديث الشجون، ثم فطنا الى الهوة، فانحنى وانحنت ومضيا!!

وحين ارسل اليها سمفونيته الرابعة العظيمة، بقيت ثمان واربعين ساعة تنعم بموجة سحرها الدفيئة المسكرة، لا تطعم ولا تنام وكتبت الى الروح الحي باعترافها: «انني أحبك. احبك فوق كل شيء في الوجود. اغفر لي ان اذاك هذا القول. انه وحي حمرتك الالهية المقدسة ايها الحبيب!!

لكن اطمئنانه الروحي اربّث آلامه الرفيعة. آلام الوجد بالاسمى! وأعين خيال الالم بوفرة الاحساس، فشكا الارق والمرض، وشقاء الفكر والعاطفة، ولم يكن يجد العبء التزر في غير خمر دنه وزهر لحنه. الخمر والموسيقى هما سلواه. وكان يلقى الوحي، فتنثال عليه المعاني حتى لا يجد الوقت المسعد لتقييد شواردها، لقد كان في لحظات ابداعه، ينسى نفسه وما يحيط به، وينتفض كمن به مس، وتنقله الهزة الى اجواء سحرية، يتخلى فيها عن تجسده ليصبح آلة في يد قوة عليا. وهنا لا بد ان نتساءل: هل نجد في فن «تشايكوفسكي» صدى لحياته الحزينة؟

لقد أنكر هو نفسه ذلك فقال: ان نشاطه الخلاق نشاط موضوعي لا ذاتي، فهو لا يخضع للظروف، ويخطئون اولئك الذين يحسبون ان الفنان الحق يفزع الى مهنته الخطرة لينفس عن مشاعره الذاتية الفردية في لحظة ما! قد أضع اعذب أنغامي في اشقى ايامي، وقد اضع أتعس آياتي في اسعد اوقاتي.. ان الفنان رجل مزدوج الشخصية، والشخصيتان لا تتداخلان..

ولقد وصل «تشايكوفسكي» الى ذرى المجد، فطبقت شهرته الآفاق. لكنه كان يفضل على ذلك كله همسة حانية من ملاكه الحارس.. من صديقة روحه، «مدام فون مك».

وفي لحظة واحدة مفاجئة انتهى كل شيء.. لقد قطعته صديقته وغدرت به. فكانت تلك القطيعة ايذاناً بانقضاء هدوئه الروحي، وفقدان صبابة الثقة في الدنيا والناس. وعاش سنيه الثلاث الباقيات في كآبة خرساء، لا يطوف بها طائف من رجاء!!

في هذه البرهة اليائسة، وضع سمفونيته السادسة، وضمنها لحناً جنائزياً يودع به صداقة ذاهبة، ويبكي عهد ود لا يعود.. لقد سكب في ذلك اللحن، قلبه، قطعاً مفجعة، مدماة، تنساب مغسولة بدموعه، في حرقة ويأس والتياع!!

كانت هذه السمفونية آخر ما كتب واعظم ما كتب، فاودعها رسالته الخالدة رسالة العبقرية المشعة والدموع المطهرة والآلام الرفيعة ولم يكد ينتهي منها حتى طغت على الروسيا، موجة من «الهيضة» فلقي حتفه فيمن لقي، وانقضت حياة ذلك العبقري الذي منحته السماء قدرة الاله، وحرمته قوة انسان! ومر عابدو فنه بجثمانه المسجى يحيونه تحية الوداع الاخير ويتساءلون في شجن ولوعة: ما هي يا ترى الافكار والعواطف التي تجاوبت اصداؤها في صدر هذا الانسان

أثـر ادب جـوتـه في المـوسـيـقى

لقد احتفل العالم في الشهر الماضي في شتى اقطاره وأمصاره بذكرى مرور مائتي عام على ولادة النبوغ والعبقرية بولادة الشاعر والاديب الكبير (جوته) ولا بد لنا من الوقوف قليلاً في هذه العجالة أمام تراثه الادبي، أمام مؤلفاته التي تأثر بها الموسيقيون الذين عاصروه والذين أتوا من بعده. ولقد كان لمؤلفاته صدى نفسي عميق تفجر فيما بعد ينابيع غزيرة في الموسيقى الشعرية الموضوعية العالية التي ساعدت على النهوض بالموسيقى الى الاوج.

وأول من تأثر بكتابات جوته ، بتهوفن وقد ظهر تأثره جلياً بقصة كتبها جوته عن الحروب الدينية في مطلع القرون الحديثة بين اسبانيا والبلاد الواطئة (هولندا) وفيها يروي قصة «اغمونت» وهو بطل هولندي تفانى في خدمة وطنه ببطولته الخارقة وشجاعته الملتهبة الى أن قتل اثناء ذلك وهو يؤدي عملاً خارقاً رائعاً .

حاول «رب الموسيقى» حين قرأ هذه القصة ان يؤلف مسرحية غنائية « اوبرا » حول موضوعها، ولكنه لم يستطع واكتفى بوضع افتتاحية اغمونت التي تروي قصة ذلك البطل، حتى ان مقاطعها الاخيرة مليئة بتصوير مشاهد البطولة المثالية المتفانية التي كان بتهوفن نفسه يحلم بها. على ان بتهوفن لم يكن الوحيد الذي تأثر بمؤلفات «من تروج خادمته» فهناك شوبرت وشومان وليست ومندلسون وبرليوز.

وأكثر هؤلاء الموسيقيين ملكت عليهم ألبابهم ، وارهفت مشاعرهم ، ونفخت فيهم روح السمو ، ونقحت مفاهيمهم ، قصة « فاوست » فنرى كيف ان فرانز ليست ألف فالساً سماه « فالس مفيستو » ومفيستو هذا هو الشيطان الذي اشترى روح فاوست . وتتلخص هذه القصة ، بأن فاوست يهب روحه للشيطان لقاء لذاذات الحياة ومباهجها الفانية ، فيشتد فجوره ومجونه ، ويعظم خبره وأمره، ثم تضيق به آثامه، فيحاول استرجاع ما باعه للشيطان، فلا يستطيع ذلك، والقصة عقلية اكثر منها روحية، وهي شيقة جداً.

ويصور الفالس المذكور رؤية فاوست لعروس جميلة ترتدي ثياباً ناصعة البياض فيدفعه مفيستو لاغرائها واغوائها ، ويساعده على ذلك بأن يعزف لحناً عجيباً على كمانه فتستسلم اليه العروس ذاهلة ويرقصان معاً حتى يغيبا عن الانظار في الغابة المجاورة. ولقد عرض ليست لنا هذه الفكرة بوضوح وبساطة يلمسها كل من استمع اليها.

***

لقد لعبت هذه القصة الخالدة في حياة الموسيقيين دوراً هاماً ، فألف مندلسون الموسيقي اليهودي الالماني قطعة موسيقية عنها. كما ان شومان الموسيقي المهووس، وضع اوبرا بعنوان فاوست تعد من اعظم الاوبرات العالمية ، ولقد اندثرت هذه الاوبرا مع مرور الزمن بكل اسف ولكنهم يحاولون في هذه الايام لم شعثها المتناثر من هنا وهناك لاخراجها من جديد.

وأما هكتور برليوز ، هذا الرمزي المتطرف ، فقد الف هو الآخر اوبرا سماها « لعنة فاوست او لعنة الموت » وهي ايضاً مقتبسة عن القصة الاصلية ، وقصائدها الشعرية منقولة عن شاعر سويدي او هنغاري لا تسعفني ذاكرتي باسمه.

بقي اخيراً « صاحب كاروليل » فرانز شوبرت، التي يقال انها دفعته لتحليل اناشيد واشعار « الارلكنج » لمؤلفها جوته وهي تدور على اسطورة من اساطير الالمان ، فكانت آية في الابداع، وروعة في الغناء حتى جعلت جوته يقول حين سمعها : (لو كانت الموسيقى نبراس فكري لكنت صغتها في قالبها الموسيقي الذي وضعها فيه شوبرت.

هذا هو بعض تأثير مؤلفات جوته الادبية في الموسيقى عامة والموسيقيين خاصة الذين فهموا جوته من وراء مؤلفاته فاستطاعوا ان يسموا اليه بالحانهم ويحلقوا في الجو الذي اراد جوته ان تحلق فيه قصصه واشعاره .

دمشق — صميم شريف

العظيم. ولم يطل تساؤلهم، فقد جلسوا بعد اسبوعين اثنين من وفاته يستمعون مأخوذين الى «سمفونيته» السادسة بكامل روعتها وجلالها فحنوا رؤوسهم وبكوا... لقد عرفوا...

عمان — سعد جمعة

عشرة انشاد لشكسبير

نقلها الى العربية

جبرا ابراهيم جبرا

استاذ في الآداب من جامعة كمبرج

(إخترت هذه الانشاد Sonnets من ألـ ١٥٤ نشيدا التي نظمها شاعر الانكليز الاكبر ، واهداها الى مجهول لا نعرف من اسمه الا الحرفين الاولين وهما و. ه. والمعتقد انه الأرل اوف سلوثهمبتون. وهي تقسم اجمالًا الى قسمين ، اولهما (وهو القسم الاكبر) يخاطب فيه الشاعر و. ه. ويتغنى بمناقبه ومحاسنه وتعلقه به ، وثانيهما يخاطب فيه سيدة مجهولة تدعى « سيدة الانشاد السمراء » Dark Lady of the Sonnets ، ويعتقد انها كانت احدى وصيفات الملكة اليصابات : والنشيدان الاخيران هنا موجهان اليها. وغني عن البيان ان هذه الانشاد من عيون الشعر الانكليزي، كما ان العشرة المترجمة هنا هي اشهرها. اما تاريخها فالارجح انه يقع بين ١٥٩٢و١٥٩٨) ج. ا. ج

أبيوم من ايام الصيف أشبهك ؟
انك اكثر جمالا واشد اعتدالا
فالرياح العتية في أيار تجني على براعمه الحبيبة
وعقد الصيف ما اقصر أجله !
وعين السماء آناً تشرق بقيظ ملتهب
وآناً في صفحتها الذهبية يخبو البريق ،
وكل حُسن عن الحسَن يوماً يفترق
بصرف الدهر او بمجرى الطبيعة القلّب :
اما صيفك الابدي فلن يسري فيه الذبول
ولن يفقد الحسن الذي تمتلكه ،
ولن يفخر الموت بأنك تطوف في ظله ،
حين تعاصر الازمان في هذه الابيات الخالدة :
فما دام في الناس رمق وفي العيون بصر ،
سيحيا هذا القصيد ، وينفخ فيك الحياة .

حين أرى في سجل الازمان الغابرة
أوصاف اجمل من عاش من الورى ،
وأرى الحسن يبتدع القوافي الحسان
في مدح غيد طوتهن المنية واجمل الفرسان ،
حينئذ في وصف أحسن ما في الجمال الشهي
من يد او قدم او شفة او عيون او جبين ،
أرى اقلامهم القديمة انما قد وصفت
ما تملك الآن من حسن وجمال .
فما مدحهم إذن الا تنبؤٌ
بيومنا هذا ، وتكهن بشمائلك ،
ولكن اذ ما نظروك الا بعيون تحاول رؤية الغيب ،
عجزوا عن الوفاء بالتغني بكل ما لديك .
فنحن الذين الآن نشهد يومنا بين يديك ،
لنا عيون للعجب ولكن يعوزنا اللسان الذي بالمدح يفيك .

حين يحط بي القدر وتعرض عني اعين الناس ،
فاندب وحشتي وابكي لحالي المنبوذ ،
واقرع آذان السماء الصماء بصراخ ليس يجدي ،
وانظر الى نفسي والعن حظي
متمنياً نفسي أمرأ اكثر مني املًا ،
لي محيا كمحياه ، ولي ما له من الصحب الكثير ،
مشتهياً لنفسي فن هذا وقدرة ذاك ،
غير قانع بما انا اتمتع به

وفيما انا في هذه الافكار اكاد احتقر نفسي
تخطر انت ببالي ، واذا بحالي
(كقبرة عند انفلاق الصبح تحلق)
من على حضيض الارض تنطلق لتهزج عند ابواب السماء :
لان هواك الشهي يثريني حين اذكره
فازدري استبدال حالي بالملوك .
حين استحضر ذكريات حوادث الايام
في مجمع الافكار العذاب الصامتات ،
اتنهد حسرة على الكثير مما خاب فألي في نواله ،
واجدد الاحزان بالحزن القديم على ضيعة وقتي الثمين :
حينئذ اغرق عيناً لم تكن تعرف سيل الدموع
على حميم الصحب اخفاهم من الموت ليل لا ينجلي ،
وابكي من جديد على احزان الهوى التي انتهت منذ بعيد ،
وأتلوع على فقدان مشاهد جمة امحت عن ناظري.
حينئذ اتوجع لاوجاع تلاشت ،
واقص متأسياً ، متنقلاً من شجن الى شجن ،
سيرة الاشجان التي فرغت من النواح عليها في القدم ،
آسى عليها من جديد ، كأنني من قبل لم احزن .
ولكن ايها الخل العزيز ، اذا خطرت ببالي عندها ،
كل ما فقدته يعود الي ، وينقضي الالم .
لا الرخام ولا نصب الامراء مطلية بالعسجد
سوف تعمّر اكثر من هذا الشعر المتين.
بل سيبقى ذكرك ساطعاً في هذه الكلمات
اكثر من حجر يتسنح ، ومر الزمان العاهر يلطخه .
وحين تحطم التماثيل حروب ضروس ،
وتجتث يد النزاع مباني الحجارة من أصولها ،
فلن يمزق السيف ، لا ولن تحرق نيران الوغى
سجل ذكراك الذي سيحيا ابداً .
رغم انف الموت والنسيان عدو الملا
ستخطو الى الامام ، ولمدحك دوماً مكان
في اعين الاجيال المقبلة التي
ستسكن الارض الى ان تلاقي حتفها المحتوم
فالى يوم القيامة حين تبعث من ترابك
ستحيا في هذا القصيد ، وفي اعين العشاق سوف تقيم .
لما رأيت يد الزمان العاتية تقضي على
خيلاء الشباب وتدنيه من اجل العمر مهلهلا ،
والقلاع الشاهقات رأيتها تندك ارضا ،
والنحاس الخالد عبداً لعنف المنايا ،
ولما رأيت المحيط الجائع يهوي على
دولة الشطآن جائراً مغتنما ،
والتراب الثابت يكسب ارضا من لجج البحار ،
زائداً ما لديه بالنقص ، والنقص بالازدياد ،
ولما رأيت تبادل الحالات هذا ،
وكل حال تتحطم ثم يغزوها الفساد ،
تعلمت من الدمار ان اتأمل فأقول :
ان الزمان سيأتي ويأخذ حبيبي مني .
يا له خاطراً كالموت يحدو بمآقيّ الى البكاء .
على أني الآن املك ما اخشى سوف يطويه الفناء .
لا تدعني في سبيل تزاوج الالباب الوفية
اقر بالعراقيل : فليس الحب حباً
ان يتحول عندما يحلو التحول له ،
او يذعن راضياً للزوال عند من يبغي زواله .
كلا ! انما الحب اشارة قد ثبتت
ترقب الزوابع العاتيات دون ان تتزعزع ؟
هو نجم تستدل به السفن الهائمة ،
لا يعرف قدره وان يقس البحارة علوه ،
وليس الحب اضحوكة الزمن ، وان يقع خداه وثغره الوردي
في مدى منجله المنحني ،
ولا يتحول الحب في وجيز ساعات الزمن او لياليه ،
بل رغم الخطوب يدوم ما دام في الدنيا رمق .
فان اكن بهذا قد ارتكبت الشطط ،
فلا نظمت يوماً ، ولا رجل احب !
الشهوة في ابانها ضياع النفس
في قفر من العار والشهوة قبل مجيئها
تسب ، تلام وتلعن ، فتاكة دموية ،
وحشية متطرفة ، كريهة ، قاسية لا تؤتمن ،
وما نكاد نفرغ من لذتها حتى نزدريها
نسعى وراءها بعنف الجنون ، ننالها وسرعان ما
نمقتها بعنف الجنون ، كطعم استقر في حلقنا
انزلته لنا يد تحدو بنا الى الجنون.

الاديب



☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدوءها شهر كانون الثاني (يناير)

تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ٥٠ ريالا

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيهاً مصرياً او استرلينياً

او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

☆

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●

للاعلان تراجع ادارة المجلة

○

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون	الادارة : ٤٧ — ٩٢ المنزل : ٣٧ — ٤٨	Direct. : 92 - 47 Dcle. : 48 - 37	Tél.

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير أديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت — لبنان

جنوناً نلاحقها وجنوناً في اجسامنا نحتويها ،
ولا حد يصدنا عندما نبحث عنها ونقضي بها الوطر ،
فهي السعادة اذ نمتع النفس فيها ، وهي الويل وهي الشقاء ،
وهي من قبل سراء وُعدنا بها ، وهي من بعد حلم :
كل هذا يعلمه الناس ، ولكن ليس فيهم من يعلم
كيف تجتنب النعيم الذى يسوق الناس الى الجحيم .
عينا خليلتي ليستا كالشمس في شيء ،
والمرجان اشد احمراراً بكثير من شفتيها .
وان يكن الثلج ابيض ، فنهدا خليلتي بلون الطين .
وان يكن الشعر اسلاكا ، فالاسلاك في رأسها تنمو ،
ولقد رأيت الورود الدمشقية ، حمرها وبيضها ،
غير اني لا ارى ورودا كتلك في خديها ،
وفي بعض العطور شذا اطيب
من الانفاس التي بين فكيها ،
وانا احب سماعها تتكلم ولكنني واثق علما
ان للموسيقى انغاماً اروع في النفس وقعاً بكثير ،
ولست بمدع بأني رأيت إلهة تمشي امامي ،
ولكن حين تمشي خليلتي قدماها تطآن على الثرى
ولكن ، وحق السماء ، حبيبتي اندر روعة
من كل ما تقصر عنه حين به قد تشبه عبثا .
لست وايم الحق اهواك بناظري
لانهما يريان الف عيب فيك ،
ولكنه قلبي ، يهوى ما يزدريانه
ويلذ له التوله بالرغم عن النظر !
وما تطرب لانغام لسانك اذني
وما يميل مني الحس الرقيق الى اللمس الدني ،
لا الذوق ولا الشم منفردين يشتهيان
الاقبال على وليمة الشهوة فيك :
ولكن لا المواهب الخمس ولا الحواس الخمس تستطيع
ان تغري قلباً احمق واحداً على البعد عنك ،
قلباً يقضي على الاباء الخليق بالرجال ،
فيجعل مني لقلبك التائه كبراً عبداً وبئس الرقيق
وما احسب مصيبتي الا ربحاً لنفسي
حبيبتي الى الخطيئة تدفعني ، وعنها تجازيني بالالم .

جبرا ابراهيم جبرا — نزيل بغداد

بين الحلم والتجربة

بقلم يوسف الشاروني

انني خائف من التعبير. انني خائف من العالم ومن نفسي، اريد أن احصل على أكبر معرفة ممكنة من خلال التجارب التي خلفها لي الآخرون، ومن خلال تجاربي، وهذه الرغبة هي التي تخيفني من العالم ومن نفسي.

أريد ان أحصل، وأنا انظر الى أقصى الطرف، فأرى لانهاية ممتدة، فأحس الدوار. وهذه الرغبة التي لا تنطفىء، وهذا البحث المرهق عن نهاية في اللانهاية، هو الذي يشقيني. وأنظر الى عمق اعماق نفسي والى العالم المتسع، فأرتعش.

أنا أنشد الهدوء وسط الصخب والضجيج، وأود لو أحصل على السعادة العميقة المنتشرة خلال العدو المجنون، وراء آفاق ما تنفك تتسع حتى لتبتلعني. أنا احاول الحصول على المستحيل من خلال الممكن، ومن هذه المحاولة ينبثق خوفي.

وعندما نلقي نظرة على ما حسبناه عدواً مرهقاً مجنوناً، نرى انه ليس الا خطوات بطيئة بالنسبة لحركة الانسانية العامة. ومع ذلك فنحن نمضي، ونحن ندرك ان عدونا ليس الا حركة بليدة، وهذا الادراك يصبح منبعاً آخر من منابع الشقاء.

وقد نحس ذات لحظة اننا ضحايا العالم وضحايا أنفسنا، لكننا ما نلبث ان نتصور أنفسنا ابطالا وعمالقة. ولهذا وحده نقبل العبء الذي يبدو للآخرين أنه تضحية. بل قد يبلغ بنا الامر أن نوهم الآخرين بأننا نضحي حقاً ونحن نعلم في قرارة نفوسنا أننا لسنا نستطيع ان نحيا الا هذا اللون من الحياة. وليست الهزيمة مبرراً للرجوع، بل هي على العكس من ذلك، باعث على اقتحام اكثر خطورة وأشد هولا لكي نثبت لانفسنا وللعالم أننا اهل للانتصار. ولذلك فنحن نعبىء كل قوانا ونشحذ كل ذكائنا من اجل المعركة الجديدة.

٩ من يناير عام...

كيف نصنع حياتنا؟ هذا هو السؤال الذي يلح علي، ويزداد الالحاح حتى يقارب الارهاق.

هذا الضجيج الثقافي الهائل يزداد صخباً كلما أوغلت فيه، وتتشعب مسالكه حتى لأحس أنني لست قادراً على ان أحصل على المعرفة التي نالتها البشرية خلال تجربتها التاريخية القصيرة، فضلاً عن الكشف عن آفاق اخرى اكثر غنى وخصوبة.

وأنا وقد وطنت نفسي على ان أشارك الانسانية أقصى ما بلغته من معارف وعلوم لاحس انني اريد أن استوعب كل شيء، وان هذا الاحساس ليضنيني ولو أنني أجد لذة في كل اكتشاف جديد أحصل عليه، وفي كل منطقة بكر أجول منقباً عما اختبأ فيها من كنوز وجواهر.

في هذه اللحظة، في تلك المرحلة التي أحس فيها بهذا التيه الضخم وقد وطدت نفسي على ان أجوسه بغير أن اقف ولا ان اتردد... في هذه اللحظة اتساءل عن السبيل الذي اطرقه من بين هذه السبل المتشابكة المتكاثرة أمامي.

ومن قبل عانى اوغسطين والغزالي هذه المشكلة في الحضارتين المسيحية والاسلامية، ثم عانى مثلها الكثيرون في عصر النهضة، بل كل هؤلاء الذين يحسون في لحظة انهم بازاء رحلة عليهم ان يكونوا على وعي باتجاهها. ولكني احس ان المشكلة اليوم أعقد من تلك التي عاناها هؤلاء جميعاً لانها ليست مشكلة ايمان ولا الحاد. فحضارتنا لا تكاد تتيح لنا هذا التقسيم الساذج الى طريقين نؤمن بالواحد ونكفر بالآخر. انها تعرض علينا كل صورها وتوهجاتها وتطلب منا ان نعيش في تشتتاتها ومتناقضاتها اذا كنا نحرص على ألا يفوتنا شيء، ولم نعد نؤمن بأن الطريق الذي سننهجه في الحياة يمكننا ان نكشف عنه قبل ان نطرقه، بل هو طريق صوفي لا يبدو لنا منه الا بالقدر الذي نخطو فيه، فدقائق حياتنا هي وحدها التي تكوّن الطريق وتدفعنا اليه وفيه.

وفي وسط هذا الضجيج والصخب والاحساس المتناهي بضآلة الفرد وبلادة حركته يتساءل الواحد منا «كيف نصنع حياتنا؟» وانه لسؤال عجيب، قد يغرينا ما يسببه لنا من حيرة بأن نرفضه ونعلن سخافته، ولكنه يظل يلح علينا كلما بدت هذه المتناقضات التي تجمعها حضارتنا في لحظة زمنية واحدة، حتى ليخشى الانسان ان يفقد نفسه وسط هذا الصخب والضجيج، وأنا حريص على ان اقحم نفسي في كل مجال والا يفوتني شيء مما يعرض في هذا المعرض المزدحم: من آثار كاد يعفى عليها النسيان الى اكتشافات عبقرية ستنبثق في اللحظة التالية.

في وسط هذا الخليط المتناقض الخصب يُطلب من الفرد ان يجدد نفسه. اين هو من هذا الزحام؟ فيتحرك داخل مجال معين، ويتكىء على ذراع انسان معين، وتسري في روحه رسالة معينة.

ان في نفسي الصغيرة يتبلور هذا الصراع والصخب الممتد امامي حتى اللانهاية الشاردة.

٢٠ من يناير

هذا الفراغ! انني فزع منه. كفريق يحاول ان يتشبث بشيء لا يراه. وهذا الاحساس بالفراغ احسه يتبلور في نفسي شيئاً فشيئاً، حتى بت أتشوق الى اللحظة الحاسمة، تلك اللحظة التي طالما تشوقت اليها منذ بدأ عقلي يستيقظ، والتي ابداً لا تجيء.

احساس بالفراغ، وكل مـا يحمله الفراغ من فزع. اود لو استحيل الى إله، ان يستوعبني الفعل الذي من القوة بحيث يلغي من نفسي كل احساس بالتافه والسخيف. انني ابحث في جنون عن هذا العمل، عن هذا الفعل العبقري الذي يستوعبني. فعل عظيم عنيف هو وحده الذي يستطيع ان يستوعبني، فيذوب فيه هذا الاحساس اللامتناهي بالشقاء، ويتسرب في جوانبه كحركة حية ايجابية.

رسالة في الحياة اركز عليها كل جوانب نشاطي، فينتهي عهد هذا التشتت، وتلك العربدة الروحية المجنونة. رسالة أدأب على تنميتها في صبر وجهد وأناة، وأسخر كل جوانب حياتي الاخرى في سبيلها، بهذا وحده احس بوجودي. وهذا الفراغ يدفعني على ان اضرب في مسالك معتمة علني احصل منها على شيء، اي شيء! فأجدني قد قفزت قفزة اخرى في الفراغ، فارتد مذعوراً. انني في قمة من التوتر الروحي، احس كأنما اتأرجح في عنف. اريد ان اندفع في انتظام، ان اتحرك نحو هدف، ان اعلق بشيء، فقط له القدرة على ان يحملني!

٢٨ من يناير

أنا وحدي اواجه الفراغ، اواجهه بعيوني الزجاجية. اني اواجه الحاضر وجهاً لوجه بلا امل يشد ازري.

انا هنا مصلوب، اريد ان اعبر ولكنني عاجز. انا اموت في بطء، في الثانية والعشرين من عمري اصبحت قوة معطلة لا نفـع فيها، كانسان ادرك انه يغرق فاستسلم للتيار.

عند هبوط كل ليل تمتلئ نفسي كآبة، وعند طلوع كل فجر اواجه مأزقاً جديداً، وماذا عساني افعل بالساعات الطوال المقبلة؟ والزمن بطيء، بطيء جداً، لا ازال فقط في الثانية والعشرين، تراني متى ابلغ الثمانين؟ متى ابلغ نهايتي فأنتهي؟ ماذا عساني افعل بكل ما امامي من لحظات؟ انا انسان غريب في ارض غريبة.

عندما كنت طفلاً كنت انتظر، اما الآن فالايام تمر، كل يوم مثل سابقه، تكرار تكرار تكرار، لا تغير ولا جديد.

روحي مزدحمة بالخرائب، اني اصطنع كل شيء، اصطنع الحب كما يصنعون الكوكاكولا في المصانع، واجامل فرداً او فردين لان الصداقة صحية للروح كحبوب الاسبيرين صحية لكل من يشكو الصداع. ليس امامي الا طريق طويل دامس اخوضه وحدي حتى أبلغ الهوة العظيمة في الليل الكبير المتسع، اني راحل نحو العدم الكبير، نحو عدم العدم.

٦ من فبراير

اني اعلم انني اقامر بحياتي، بل لقد قامرت بها. ان الحياة مصاورة، اذا آمنا بها نسير، فاذا داخلنا الريب ذات لحظة فان كل شيء يميد تحت اقدامنا. مثلنا في ذلك مثل بطرس الذي استطاع ان يمشي على الماء طالما كان يتحرك بالايمان، فلما ساوره الشك كاد يبتلعه الموج.

ان كل من ينظر في الطريق الذي تسير فوقه قدماه ولا يعود ينظر الى الامام، انما يعرض نفسه للغرق. لهذا قلت ان الحياة مصاورة. وانها حياة واحدة. ولقد قامرت بحياتي منذ اليوم الذي امسكت قلما لاكتب بعض اشعار ركيكة متكسرة، وقامرت بها يوم رضيت ان ادرس الفلسفة، وها انا اليوم امضي في هذه المقامرة وانا اعلم انني لم اقامر بحياتي عبثاً. ان الطريق الذي غامرت بالسير فيه قد وهبني اليوم قوى شيطانية لان اسخر واتهكم واصيح واهزأ بل واعلم نفسي والآخرين.

وانا اعلم في وضوح ان طريقي اليوم هو العمل الفني، العمـل الفني، الذي اخلص له بكل روحي وكل حياتي وكل كياني، وانني قد القيت بنفسي في هـذا الموضع من التراث البشري، وقامرت بكل ثروتي بغير ان احتفظ بأي رصيد.

وانا ادرك ان هذا يحملني كثيراً من المسئوليات، وهذا مـا اريده تماما. اريد ان اكون انساناً مسئولا امام نفسي وامـام العالم والتاريخ، ولن يمكن ان يتم هذا الا بان اتبلور حول شيء نسميه نحن الناس باسلوب حياتنا انه نافع، وربما جميل وخير وعظيم. انني ادرك انني اعيش في يأس كبير لكنني اعلم ايضاً انني احمل في داخلي روحاً فتية وتهكماً كبيراً ومشاركة تدمجني مع الانسانية جميعها، فيستحيل هذا اليأس الكبير الى طرقات عنيفة متوالية تؤذن بالنور الجديد

وانا اعلم ان الربح لن يكون عاجلاً، بل قد يكلفني كثيراً من راحتي واستقراري. ومع ذلك فلست اريد ان اكون ذلك الشاعر الذي يقف معجباً بالبطل لانه لا يستطيع ان يكونه. ان المعجزة الحقيقية في التاريخ هي قيام الشاعر البطل، لهذا يعجبني كثيراً هؤلاء الملوك الذين كانوا يكتبون الشعر مثل ابن المعتز وفريدريك الاكبر. ولهذا تجد المؤرخين يحاولون دائماً ان يبرزوا النـاحية الشاعرية والعاطفية في سير الملوك والقواد وابطال الحروب، ومن ناحية اخرى يحاولون ان يحيلوا حياة الفنان الذي يتناولونه الى سلسلة من اعمال البطولة الضخمة. ذلك لان الشاعر البطل هو معجزة التاريخ.

القاهرة — يوسف الشاروني

الغرفة الزرقاء

للكاتب الفرنسي بروسبير مريمه Mérimée ١٨٠٣ — ١٨٧٠

ترجمة السيدة ماهرة النقشبندي

●

« مريمه صورة واضحة السمات لكل ما اشتهرت به اسرته الادبية ، التي تمثل في كثير من افرادها الملهمين ، الفن الافرنسي الرومانتيكي ، بكل ما فيه من طلاقة وسحر وجمال ، اتم التمثيل .

كان شاعرا مجيدا ، الى جانب آثاره الرائعة المتعددة التي طافت بآفاق التاريخ ، وباغوار النفس الانسانية ، وبالطبيعة ، وبالمرح والمجون . وقصته العظيمة (كارمن) اشهر من نار على علم .

لقد كانت القصة القصيرة ، الميدان الذي ظهرت فيه براعته الفنية ظهورا منقطع النظير . وقصة « الغرفة الزرقاء » التي نقلتها عن الانكليزية لقراء « الاديب » تعد من اروع القصص القصيرة في لغات العالم ، وقد ظهرت فيها الخصائص الفنية الجذابة لاسلوبه الرائع الذي فتن به قراء اللسان الافرنسي »

☆☆☆

سار الشاب مضطرب الخطى نحو محطة القطار ، وكانت تخفي عينيه نظارة زرقاء ، ويضع منديلا على انفه رغماً عن انه لم يكن مصاباً بزكام . وكان يحمل في يده اليسرى حقيبة صغيرة سوداء تحتوي (كما علمت بعدئذ) على ملابس النوم . وكان يذهب بين وقت وآخر الى المدخل يبحث هنا وهناك ثم ينظر الى ساعته قلقاً . . كانت لا تزال هنالك ساعة باقية على قيام القطار لكن بعض الناس كثيراً ما يخافون التأخير . ولم يكن ذلك القطار من النوع الذي يستقله رجال الاعمال وانما كان يتألف من بضع عربات من الدرجة الاولى ولم يكن موعد قيامه بالموعد الذي يسمح لرجال الاعمال ان يأخذوه بمجرد الانتهاء من اعمالهم ليصلوا الى بيوتهم الريفية في وقت العشاء . وكان سهلاً على الباريسي ان يعرف من سيماء الركاب انهم من زراع وتجار الضواحي .

كان قلب الفتى ذي النظارة الزرقاء يضطرب وكانت رجلاه تصطكان كلما دخل المحطة احد او اقبلت عربة . . وكانت النظارة تهتز فوق عينيه فيخيل لمن يراها انها وضعت في غير موضعها الطبيعي

وبعد انتظار مضض اقبلت من باب جانبي سيدة متشحة بالسواد وعلى وجهها حجاب كثيف ، تحمل في يدها حقيبة من الجلد البني فيها (كما اكتشفت بعد ذلك) ثوب رائع للنوم وخف ازرق من الاطلس الجميل . فخفا الى بعضهما ينظران يميناً وشمالا وتصافحا وبقيا يلتهيان بضع دقائق وقد بان عليهما الانفعال الشديد الذي يحتاجني مائة عام من التأمل الفلسفي .

قالت السيدة التي نسيت ان اخبركم انها كانت شابة فاتنة .

— ليون ، ماذا حدث ؟ لم اعرفك لاول وهلة وانت بهذه النظارة الزرقاء ! — وانا الآخر لم اعرفك خلف حجابك الكثيف .

— دعنا نأخذ اماكننا والا رحل القطار دوننا « وضغطت على ذراعه » لن يعرف احد ماذا يحدث . . فالمفروض انني الآن مع كلارا وزوجها ذاهبة الى بيتهما الريفي حيث يجب ان اودعهما غداً .

واضافت ضاحكة وهي تخفض رأسها ، منذ ساعة فقط رحلت مع كلارا وغداً بعد ان اقضي آخر امسية معها « تضغط على يده مرة اخرى » ستأخذني الى المحطة حيث اجد اورسول الذي ارسلته

قصة

قبلي الى عمتي . . اوه لقد فكرت في كل شيء . دعنا نبتاع تذاكرنا . من المستحيل ان يكتشف وجودنا احد . . ! لكن اذا ارادوا ان يعرفوا اسماءنا . . ! لقد نسيت ان افكر في هذا الامر !.

— مسيو ومدام دور . — لا . لا اريد هذا الاسم فقد كان في المدرسة الداخلية صانع احذية بهذا الاسم . — اذن ديومونت .

— ديومونت . — حسناً . لكنهم لن يسألونا .

ودق جرس وفتحت باب غرفة الانتظار . . واسرعت المرأة الى عربة القطار مع رفيقها ، ودق الجرس للمرة الثـانية ، ثم اغلق البواب باب عربتهما ، فصاحا بسرور نحن وحيدان ! ولكن في تلك اللحظة دخل العربة رجل يناهز الخمسين عاماً عليه ثياب سوداء ، ذو وجه عريض وقور ، جلس في الزاوية ثم تحرك القطار ، وانسحب الرفيقان الشابان من جارهما المزعج واخذا يتهامسان بالانجليزية زيادة في الاحتياط . فقال لهما بانجليزية سليمة .

— اذا اردتما ان تتكلما باسرار فالافضل ان تتكلما بغير اللغة الانجليزية لانني انجليزي . آسف عـلى ازعاجكما اذ ليس في العربة الثانية سوى رجل واحد وكمبدأ ادين به لن اسافر مع رجل مفرد ينظر الي كأنني يهودي وقد يغريه ذلك بي فيغتصب ما معي واشار الى حقيبة سفره التي القى بها على الاريكة واضاف قائلاً :

— لكنني اذا لم استطع النوم فساقرأ . وقد حاول باخلاص ان ينام ، ففتـح الحقيبة واخرج غطاء للرأس ولبسه واغمض عينيه بضع دقائق :. ثم فتحها بنفاد صبر والتمس نظارته من الحقيبة واخذ يقرأ في كتاب يوناني بانتباه شديد . وعندما اخرج الكتاب بعثر اشيـاء كثيرة كيفما اتفق وكان من ضمنها رزمة كبيرة من الاوراق المالية الانجليزية وضعها بجانبه امامها وقبل ان يرجعها الى الحقيبة عرضها على الشاب وسأله ان كان في استطاعته ابدالهـا في مدينة ما . فأجابه ليون — ربما . . انها في الطريق الذاهب الى انجلترا . وكانت تلك المدينة هي التي يقصدها العاشقـان . فهنالك فندق صغير بالغ النظافة ينزل فيه عادة المسافرون في اماسي السبت . . وقد زاره ليون مراراً حينما لم يكن يستعمل النظارة الزرقاء . وقد وصفه لحبيبته فرغبت في ان تراه . وسار القطار والرجل الانجليزي يقرأ في كتابه اليوناني من غير ان ينظر الى رفيقيه اللذين كانا يهمسان بلغة لا يفهمها الا المغرمون المدلهون . ربما لا يتعجب قرائي اذا علموا انهما عاشقان فاران ، ومن المحزن حقاً انهما لم يتزوجا ، وكانت تقوم في سبيل ذلك الزواج عقبات كثيرة .

ووصلوا الى نهاية الرحلة وكان الانجليزي اول من ترك القطار وبينما كان ليون يساعد حبيبته على النزول ، نزل من العربة المجاورة رجل شاحب اللون غائر العينين محمرهما ، شعث اللحية ذو مظهر اجرامي ، وكانت ثيابه نظيفة لكنها رثة وسترته السوداء قد اضحت رمادية عند الكوعين والظهر ، زررها حتى الذقن ربما ليخفي قميصاً اكثر رثاثة . . تقدم الى الرجل الانجليزي وقال له بصوت ذليل :

— عمي ! فصاح به .

— اتركني ايها الشقي . وومضت عيناه بشرر الغضب وهو يخرج من المحطة . — لا تتركني في يأسي . لا تسقني الى القنوط .

قالها الرجل بلهجة مليئة بالاستعطاف والتهديد . فنظر الرجل الانجليزي الى ليون والقى بحقيبته عند قدميه قائلاً :

— ارجو ان تحفظها عندك مدة دقيقة . وامسك بذراع الرجل وجذبه الى زاوية بعيدة وكلمه بعصبية ظاهرة واعطاه بعض الاوراق فأخذها دون ان يشكره وذهب حالا واختفى . لم يكن في المدينة سوى فندق واحد ، فلا عجب اذا التقى بعد لحظات جميع ابطال هذه القصة الحقيقية .

من المعروف في فرانسا ان كل مسافر اسعده الحظ باصطحاب سيدة انيقة يكون واثقاً من الحصول على احسن غرفة في الفندق ولذا عرف عنا اننا اكثر شعوب اوربا تهذيباً . فاذا كانت الغرفة التي اعطيت الى ليون هي خير ما في الفندق من غرف فانها سخافة منا اذا استنتجنا انها غرفة ممتازة . كان فيها ، سرير خشبي كبير ، وسجف رائعة نقش عليها بلون بنفسجي قصة بيراموس وتيسب السحرية . وكانت الجدران مغطـاة بورق رسم عليه منظر يمثل مدينة نابلي وقد ازدحمت بالناس ولسوء الحظ رسم بعض المسافرين عديمي الاذواق شوارب وغلايين لكل الاشخاص من رجـال ونساء . وكتب بعض الاغبياء عبارات نثرية وابيات شعرية فوق البحر والسماء . وعلقت فيها بعض الصور تمثل لويس فيليب يقسم بالله على اتباع القانون سنة ١٨٣٠ وأول لقاء بين جوليا والقديس بركيس ، والندم والامل في السعادة للفنان ديبوبوف . وقد اطلق عليها الغرفة الزرقاء . لان المقعدين الموضوعين الى جانبي المدفأة كانا من القطيفة الهولندية الزرقاء . ثم اخفيا منذ سنين عديدة تحت اغطية رمادية اللون من القماش المطبوع المهدل الاطراف .

وبينما كانت السيدة الفتية محاطة بالخادمات يعرضن عليهـا خدماتهن ، ذهب ليون الى المطبخ يطلب عشاء خصوصياً جيداً ، وكان عليه ان يستعمل كل ما اوتي من فصاحة ولباقة وان يلجأ الى الرشوة ليحصل على وعد بذلك . . وقد ارتبك اشد الارتباك حينما

علم ان في غرفة العشاء الكبرى المجاورة للغرفة الزرقاء ستقام وليمة عشاء وداعية لضباط فرقة المشاة الخفيفة التي سيحل محلها ضباط فرقة الهوسار الثالثة .

وقد اقسم صاحب الفندق بكل مقدساته انه بالاضافة الى ما عرف عن الجنود الفرنسيين من مرح فان فرقة الهوسار وفرقة المشاة الخفيفة معروفتان بدماثة الخلق ، وحسن السلوك في المدينة وان حضورهم لن يزعج السيدة مطلقاً ، والعشاء عادة ينتهي قبل منتصف الليل .

عاد ليون الى الغرفة قلقاً شارد اللب من هذا الامر . فوجد الرجل الانجليزي قد احتل الغرفة المجاورة لهما وكان الباب مفتوحاً فرآه جالساً وامامه مائدة عليها كأس وزجاجة خمر وهو ينظر الى السقف بانتباه وكأنه يعد الذباب الذي يمر عليه .. فقال ليون يحدث نفسه ويطمئنها . ماذا يهم من يكون جارنا .. فان هذا سيفقد وعيه بعد قليل من الخمر وسيرحل الضباط قبل منتصف الليل .

وعندما ولج الغرفة كان اول همه التأكد من ان الابواب المؤدية الى الغرف المجاورة موصدة جيداً . فقد كان للغرفة من جهة الانجليزي بابان وكان الحائط متيناً . اما من جهة الهوسار فان الحاجز كان رقيقاً لكن الباب له مفتاح يوصد به . غير ان هذا الحاجز لم يكن في واقع الامر غير ستار يخفي فضول العيون كما يخفي ستار العربة الراكبين ، وهل بين الناس من يعتقد انه بعيد عن العالم وهو وراء ستار من هذا النوع !.

ان اخصب المخيلات في الواقع ، ليس في مقدورها ان تصور سعادة اكمل من سعادة شابين برح بهما الهوى ، والتقيا بعد طول النوى : فلقيها ولقيته وحيدين بعيدين عن قلوب عاذلة وعيون مستطلعة . فيقص عليها وتقص عليه ما تجرعاه من غصص البعاد ثم ينهلان من نبع السعادة نهلة الظامىء .. لكن انى للدهر ان يغفل عن سكب قطرات من مرارة الشقاء في كأس السعادة الحلوة .

وبينما كانا يتناولان عشاء خفيفاً سرق من مائدة الضباط كانا يعانيان الشيء الكثير مما يصك سمعهما من احاديث هؤلاء الضباط .. كان حديثهم لا يمت الى الخطط الحربية والحركات العسكرية بصلة .. وكان عبارة عن حكايات خشنة متلاحقة ترافقها قهقهات صجة ، صعب على العاشقين سماعها . لم تكن حبيبة ليون من السيدات المحتشمات لكن هنالك اشياء لا تود النساء سماعها حتى ولو كن مع عشاقهن وعندما بدأ الضباط في اكل الحلوى ، ذهب ليون الى صاحب الفندق وطلب منه ان يخبر السادة ان في الغرفة المجاورة سيدة مريضة ليلزموا جانب الادب في احاديثهم ويقللوا من جلبتهم فحار صاحب الفندق في امره واضطرب ولم يعرف ماذا يقول ، وفي نفس اللحظة جاء احد الندل طالباً زجاجة شامبانيا لفرقة الهوسار وجاءت احدى الوصيفات طالبة خمراً للرجل الانكليزي وهي تقول لقد ابلغته ان ليس لدينا خمر . فصاح بها : هل انت مجنونة ؟ انني احتفظ بكل انواع الخمور وسأجد له ما يريد . وراح يزج انواعاً من الخمور . وبعد ذلك ذهب الى غرفة الطعام وابلغ الضباط رجاء ليون ، فسبب ذلك في اول لحظة عاصفة شديدة ، وارتفع صوت عميق طغى على كل الاصوات سائلاً عن المرأة ومن اي نوع من النساء تكون . . فأجاب الرجل قائلاً .
— في ذمتي ايها السادة .. انها سيدة رائعة ، شديدة الحياء وقد قالت ماريا جان انها رأت في اصبعها خاتم زواج ، واظن انها عروس جاءت لقضاء شهر العسل هنا .. فارتفع اربعون صوتاً صارخاً عروس ! يجب ان تأتي وتشرب معنا .. ! سنشرب نخب صحتها ، ونعلم زوجها واجباته نحوها . وارتفع صليل مهاميزهم ، فارتجف العاشقان خوفاً وهلعاً ظانين ان العاصفة ستحتل غرفتهما . ولكن صوتاً ارتفع فهدأت العاصفة ، كان واضحاً انه احد القواد قد وبخهم على سوء ادبهم وطلب منهم الجلوس والكف عن الصخب والضجيج واضاف بضع كلمات بصوت خافت لم يسمع في الغرفة الزرقاء ، تقبلوها بعدم ارتياح لكنها كبحت شيئاً من مرحهم وضجتهم .

وساد الصمت غرفة الضباط فشكر العاشقان الله على تلك النتيجة وبدأا يتحدثان بحرية واغتباط . وأخذ الهدوء يتسلل الى اعصابهما المرهقة المكدودة من عناء السفر . وزال عنهما ماساورهما من قلق وازعاج سببه مرح جيرانهما .. وهكذا ينسى كل من كان في عمرهما ما يعاني من المجازفات والمخاطر . ويستسهل كل صعب ويبدأ بالتمتع بحلاوة اللحظة التي هو فيها .

وخيل اليهما ان المتاعب قد انتهت لكنها كانت هدنة قصيرة الامد . ففي اللحظة التي كانا فيها ابعد توقعاً لما حدث ، وقد حملهما الحب بعيداً عن هذا العالم .. دوى اربعة وعشرون بوقاً في الفضاء يعزف النغمة المعروفة لكل فرنسي « النصر لنا » .. فغدا العاشقان في حالة تستدر الرحمة والشفقة واخيراً خرج الضباط ووقفوا بباب الغرفة الزرقاء بصليل سيوفهم وقعقعة مهاميزهم واخذوا يصيحون الليلة سعيدة ايتها العروس ثم رحلوا وتلاشت الاصوات .. وخرج الرجل الانجليزي الى الممر وصاح يطلب زجاجة اخرى من الشراب

وساد الصمت في الفندق . وكان الليل ساجياً والبدر يفيض على الكون فيملاه سحراً وفتوناً . ولذ للعاشقين ان يمتعا ناظريهما بهذا المنظر الخلاب ففتحا النافذة واخذا يستنشقان عبير الزهور ويستجليان جمال الليل المثير . ولم يمكثا فيها طويلاً فقد مر في الحديقة رجل محني الرأس عقد ذراعيه فوق صدره وفي فمه سيجار مشعل وخيل الى ليون انه ابن اخ الرجل الانجليزي . ولما كنت اكره كثرة التفاصيل فانني لست مجبراً على ان اقص على القارىء كل شيء حدث في الفندق ساعة بعد ساعة لكنني اقول ان الشمعة التي كانت تضيء الغرفة الزرقاء كان نصفها قد احترق عندما سمع من غرفة الرجل الانجليزي صوت سقوط جسم على الارض ممزوجاً بقرقعة لا تقل عنه غرابة تبعتها صرخة مكتومة وبعض كلمات مبهمة تشبه اللعنة فاستيقظ الشابان مذعورين وفي نفس كل منهما شعور من الشؤم من هذا الصوت الغامض ، فقال ليون يطمئن صاحبته :— انه الرجل الانجليزي يحلم .. لكنه كان يرتجف رغماً عنه .. وبعد دقيقتين او ثلاث فتح باب في الممر بكل عناية ثم اغلق بسرعة .. وسمعا صوت خطوات شخص يسير ببطء واضطراب محاولا ان يردون ان يشعر به احد .. فتمتم ليون :— لعنة على هـذا المكان ..! انه كالفردوس .. وانا في غاية النعاس .. قالت الفتاة هذه الكلمات وهي تلقي برأسها على كتف صاحبها وتستسلم الى النوم. اما ليون فان الافكار السوداء التي بدأت تحتل رأسه لم تدع للنوم سبيلاً الى جفنيه . فمرت امام ناظريه صورة ابن اخ الرجل الانجليزي ونظرة الحقد التي حدجه بها .. لا شك في انه يطلب نقوداً . وليس اسهل على شاب قوي يائس من تسلق النافذة من الحديقة . وقد رآه منذ لحظات يحوم تحتها .. ومن المحقق انه يعرف بوجود حزمة الاوراق المالية في حقيبة عمه .. ثم ذلك الصوت الذي يشبه صوت هراوة تسقط عـلى رأس فتهشمه وتلك الصرخة المكتومة .. والكلمات المبهمة .. والخطوات المتسللة .. ان لذلك الرجـل سيماء القتلة لكنه فندق مملوء بالضباط وليس بالمكان الملائم لجريمة قتل .. لا شك في ان الرجل الانجليزي كأي رجل فطن قد اغلق عليه بابه لعلمه بنوع الرجل الذي يلاحقه ويدور هنا وهناك .. انه لا يأمن منه ما دام قد ذهب اليه من غير حقيبة .. لكن لمـاذا التفكير باشياء بشعة وانت سعيد ..؟ بذلك كاد ليون ينـاجي نفسه خلال تصوراته التي كانت تراوده كما تراوده الاحلام التي لا اود تحليلها .. كانت عيناه مركزتين في الباب المؤدي الى غرفة الانجليزي .. ان كل الابواب في فرنسا لا تغلق جيداً فكان بين

ذلك الباب والارض فتحة تقارب نصف القـدم وفجأة ظهر من خلال هذه الفتحة التي ينيرها ضوء ضئيل ينعكس من ارض الغرفة ، شيء اسود مسطح يشبه نصل السكين وحينما انعكس عليه ضوء الشمعة بان كخط لامع براق وتحرك هذا ببطء نحو الخف الازرق الذي كان ملقى بلا عناية على بعد قليل من الباب . هل كان ذلك حشرة من فصيلة الزحافات ؟ كلا انها ليست بحشرة اذ ليس لهـا شكل معلوم . ثم رأى خطين او ثلاثة من هذه الخطوط اللامعة تخترق الغرفة وتسير فيها مسرعة ، فتزحلق على الارض الملساء حتى لامست الخف . لم يبق شك في انه سائل ولونه الآن يظهر بوضوح على ضوء الشمعة انها دماء .. وبينما كان ليون يحملـق في ذلك الشيء متجمد الاطراف كانت السيدة تغط في نوم هادىء عميق . لم يتحرك وراح يستجمع كل قواه الفكرية ليجد حلاً ينقذه ممـا يهدده .. وانني لا اتصور القسم الاعظم من قرائي وخصوصـاً السيدات قد ملأن ارواحهن بالبطولة واخذن يلمن ليون على ضعفه وجبنه .. فهن يردنه ان يسرع الى غرفة الانجليزي ليلقي القبض على القاتل ، واقل ما يجب عليه ان يفعله هو ان يدق الجرس ليوقظ النائمين في الفندق واجابتي على ذلك هي ان الاجراس في الفنادق الفرنسية ليست الا للزينة اذ ليس لها جهاز مربوط في نهاية الحبل واضيف الى ذلك باحترام ولكن بجزم انه اذا كان من الخطأ ان تدع رجلاً انجليزياً يموت في الغرفة المجاورة فانه من الفظـاعة ان تضحي بفتاة جميلة لا يزال رأسها الرائع مسنداً الى كتفيك . ماذا سيحدث لو خرج ليون وايقظ كل من في الفنـدق ؟ سيحضر الشرطة والحاكم .. سيسأل عما رأى وسمع فان هؤلاء الرجـال الكثيري الاسئلة بحكم مهنتهم سيبدأون بسؤاله عن اسمه وعن اوراقه وعن السيدة ولماذا هما معاً في الغرفة الزرقاء .. وعليهما ان يوضحا امام محكمة الجنايات انهما في اليوم الفلاني وفي ساعة معينة وفي ليلة كذا قد شهدا كذا وكذا .

لقد كانت هذه الفكرة التي مرت بخاطر ليون عن الحـاكم والشرطة مضبوطة تماماً .. وان في الحياة اموراً من الصعب حلها . فمن الخير اذن ان يترك رجل غريب مقتولا او ضائعاً بدلا من ان يفضح سيدة جميلة . وقد فعل ليون ما يفعله اكثر الرجال لو كانوا في مكانه .

لم يتحرك وبقيت عيناه مثبتتين بالخف والسائل الاحمر الذي سال تحته وبقي مدة ما وهو كالمسحور وقد بلل العرق البارد جبينه وكان قلبـه يدق بعنف كاف لان يحطمه . وتزاحمت في رأسه

الافكار المرعبة واحاطت به التصورات الغريبة . وظل في اعماقه صوت يتردد ويقلقه :— بعد ساعة سيعرف كل شيء . وهذا هو ذنبك واستمر هذا الصوت يسأل :— ماذا سافعل في هذه الحالة؟ وغالباً ما يختم الرجل ذلك بايجاد شعاع من الامل . قال يحدث نفسه : لو تركت هذا الفندق الملعون قبل ان يكتشفوا ما حدث للرجل فلربما استطعنا محو آثارنا ، فليس هناك من يعرفنا وهم لم يروني بغير نظارتي الزرقاء ولم يروها بغير حجابها الكثيف وليس بيننا وبين المحطة سوى بضع خطوات . وبعد ساعة سنغدو بعيدين جداً عن هذه المدينة . وتذكر ان القطار الذاهب الى باريس يمر في الساعة الثامنة . وحالا يضيعان في زحام تلك المدينة التي تخفي كثيراً من المجرمين . ومن يشك بعد ذلك في شخصين بريئين ؟ لكن لو دخل احد غرفة الانجليزي ؟ كل القضية متوقفة على هذه النقطة . واقنع نفسه انه ليس هنالك شيء آخر يستطيع فعله . وحاول بجهد اليائس ان يطرد عن عينيه الوسن الذي اخذ يستولي عليه وعند حركته الاولى استيقظت صاحبته وقبلته وعندما لامست خده البارد صرخت بقلق : ماذا حدث ان جبينك بارد كالرخام ؟ فأجابها بصوت مرتجف : لا شيء، وانما سمعت صوتاً من الغرفة المجاورة . وقام من السرير وابعد الخف وسحب الكرسي ووضعه خلف الباب الموصول بين الغرفتين ليخفي السائل المرعب الذي ازداد وكوّن بركة صغيرة على الارض ثم فتح الباب واخذ يصغي لما قد يدور في الممر ، وتجرأ وجرب باب الانجليزي فوجده مغلقاً . . واخذت الحياة تدب في الفندق فقد اقبل الفجر وكان بعض رجال الاسطبل ينظفون الخيل في الساحة ، وفي الدور الثاني كان احد الضباط ينزل السلم بصليل سيفه ليتأكد من اعداد الخيل للرحيل .

رجع ليون واخذ يخبر رفيقته بكل ما اوتي من لطف وحيطة بما هما فيه من حرج . . ان في البقاء خطراً وفي الرحيل العاجل خطراً . . واشد خطراً من هذا كله الانتظار حتى يكتشف ما في الغرفة المجاورة . من العبث وصف ما سببت هذه التفاصيل من فزع في نفس الشابة . . وما سكبته من دموع . . وما اقترحته من الاقتراحات المخيفة . . وكيف رمى هذان المخلوقان التعسان نفسيهما في احضان بعضهما ، يسأل كل منهما الآخر الصفح والمغفرة ، ويلومان نفسيهما ويقسمان على الاخلاص والموت معاً لانهما كانا متأكدين من اتهامها بقتل الرجل . . ولما كانا واثقين من عدم السماح لهما بتقبيل بعضهما عند المقصلة فقد راحا في عناق عنيف وقبل جنونية وبكاء بلل وجهيهما بالدموع . . وبعد كثير من الاقوال السخيفة وكلمات التدليل والحب وخلال آلاف القبل قررا ان خير مخرج هو اخذ قطار الساعة الثامنة الى باريس ، لكن كانت لا تزال ، حتى تحين تلك الساعة ساعتان مميتتان من الانتظار القاتل . . فلكل خطوة في الممر يرتجفان وصوت كل حذاء يعلن لهما قدوم الشرطة . وحزما امتعتهما في طرفة عين . . وهمت السيدة بحرق الخف في الموقد ، لكن ليون اخذه ونظفه باغطية السرير الداخلية ثم قبله ووضعه في جيبه وقد عجب لعطر الفانيلا الذي كان يفوح منه . وكانت السيدة تحب هذا العطر كالامبراطورة يوجيني .

واستيقظ كل من في الحانة فعلت ضحكات الندل وغناء الخادمات واصوات الجنود وهم ينظفون ثياب الضباط . ودقت الساعة تعلن السابعة وطلب ليون من صديقته ان تشرب قدحا من القهوة فرفضت . لبس ليون نظارته ونزل ليدفع الحساب فاستقبله صاحب الفندق واستماحه العذر عما احدث الضباط من اصوات . . فاكد له ليون انه لم يسمع شيئاً وقد نام نوماً هادئاً عميقاً .

وجارك لا شك انه لم يضايقك لانه لم يحدث صوتاً واراهن على انه لا يزال نائماً كالاموات . . فاتكأ ليون على الطاولة ليمنع نفسه من السقوط . اما السيدة التي اصرت على الذهاب معه فقد امسكت بذراعه واحكمت وضع قناعها على وجهها وواصل صاحب الفندق قوله . . ! — انه لورد انجليزي ، يطلب دائماً خير الاشياء وهو سيد مهذب . . لكن ليس كل الانجليز مثله . . فهنا رجل آخر لكنه وغد شرير ويجد كل شيء عندنا غالياً ، الغرف والطعام . وقد طلب مني ان اعطيه مائة وخمسين فرنكاً بدل ورقة انكليزية من فئة الخمسة جنيهات كانت في احدى زواياها بقعة حمراء عرفها ليون . . .

فاجابه بصوت مخنوق : آاظنها جيدة تماماً

— اوه لا يزال على قدوم القطار وقت طويل . . فلن يجيء قبل الثامنة وغالباً ما يتأخر . هلّا جلست يا سيدتي . . يلوح لي انك متعبة وفي تلك اللحظة دخلت خادمة بدينة وقالت : — اريد ماء دافئاً لشاي سيدي اللورد ، واسفنجة ايضاً فقد كسر زجاجة الشراب وغرفته الآن غارقة به . . فسقط ليون على الكرسي وكذلك رفيقته ، واستولت عليهما رغبة شديدة في الضحك وقد وجدا صعوبة في كبحها . . وضغطت السيدة على يده بجذل فقال لصاحب الفندق .

— سوف لا نرحل حتى بعد الظهر . . حضر لنا غداء جيداً في الثانية عشرة .

بغداد ماهرة النقشبندي

الروح والجسد

•

يا ابنة الليل طوانا الصمت فاصغي لي ملياً
انت ظمأى ، وأنا يا اخت ظمآن فهيا
نعصر الليل بكاسينا ، فيندي القلب ريا
ما علينا لو مزجنا الروح بالجسم سويا
افليس العطر من زهر طواه الترب طيا
ها انا يا معبد النيران احيا وثنيا
قد عبدت النار في حبي . . فهل آتيت غيا
يا حبيبي انا حي . . غنني ما دمت حيا
غنني فالنور افراح تناغي مقلتيا
غنني فالطير لي غنى . . واضحى لي نجيا
انت رجع الكون في حسي ، بدا طيفاً سنيا
يا حبيبي انا حي . . غنني ما دمت حيا

القاهرة — محمد الجبار

شوق

•

اهواك احلاماً ترف — ورؤى تشوق وتستخف
اهواك شوقاً مضرماً — يذكيه من خديك رشف
فاذا صدرت فظامئاً — يصبو لمنهله ويهفو . .
واذا وردت فهائماً — طلب السراب ومايكف
اهواك نهلة ظامىء — ابداً على فمه تجف
فلانت يا ليلاي في — صحراء هذا العمر وكف
جاءت به مقل السما — وجرت به لله كف

وديع ديب

من وحي مشكلة

•

انا كلما آويت احلامي الى اعماق نفسي
ضحك الهوى مني وخيمت الكآبة فوق كأسي
تذرو هيامي حول مشكلة تكاد تكون بؤسي
حمراء تجمح بي على ايقاعها نبرات يأسي
هي فكرة ما زلت اغمرها بأشواقي وهمسي
لي في حواشيها انطلاق الزغردات بيوم عرس
اطعمتها قلبي وما ابقيت من عقلي وحسي
حتى انسجمت بها وضاع بلحنها الوضاء جرسي

***

جل يا شقاء بروضة الاحلام واقطع كل غرس
الا الهوى العذري واطرد عنه كل اذى ورجس
انا من صدى فأس العذاب عشقت رنة كل فأس
وسبرت اغوار الحياة وكدت افقه سر رمسي .

***

رباه ! ما ذنب الحنين اذا تدفق فوق طرسي
تعروه مشكلة فيعبق بالتأوه والتأسي
مرغت اهوائي على شفق الرؤى ورفعت رأسي
فتسربلت لغة الشعور وضعت بين غدي وامسي .

مصطفى عبد ربه

نغم

الى ذلك النغم العذب الذي تغلغل في اعماقي

•

نغم حبيب في الفؤاد أحبه واخاف منه
ويدغدغ القلب البريء ولم يغب القلب عنه
يبكي ويضحك في الضمير وكم يحنني او أخنه

***

نغم رقيق ساحر النغمات يلهبني غراما
فيفيض عطر انوثتي واذوب في الحب احتشاما
نغم شربت به الطلى وسقيته نفسي مداما
نغم عشقت به الصفاء ولم اباده الزماما

***

يا سر قلبي في الغرام فديت دربك يا حبيبي

اتريد ان اهدي الهوى والشوك يكمن في دروبي
اتجني وتودني ويمل قلبك من ذنوبي
تلك الذنوب خضيبة النعمى مرفوفة الطيوب

***

اواه يا نغمي المثار على الهوى قلبي يغني
ابكي عليك تلهفاً وتريد نفسي في التجني
وأصد عنك ومهجتي الحسرى تذوب على التمني
واعود اسأل عن هواك وانت في قلبي تغني
لولا الهوى وطيوفه الزرقاء كنت اسأت ظني
نغمي احبك وادعاً في القلب عربوناً لفني

***

نغمي فديت شروقك الجذاب في قلبي ونفسي
لا تكتئب رحماك ان طوحت عن شفتيك كأسي
أجننت بي يا للهوى يرمي الحوادث فوق رأسي
ما حاضري الا هواك وحبك المخمور أمسي

حمص — عزيزة هارون الحامي

الحلم الضائع!

يا مني عاد الغروب ... والسحر ..
لم يفح عرف الطيوب ... ما الخبر ؟!
لم يلح طيف الجمال
عبر هاتيك التلال !..
والغمامات الرفاع
لم يطرزها الشعاع !..
يا مني عاد الاصيل ... والضحى ..
هل قضي حلمي الجميل ... وامحى
كيف لم يرجع اليأسا
من سبا حلمي الفتيا
هل بذا الافق يحوم
هل سبت حلمي النجوم
هامد الشوق غريق ... في ذهول
هالني وعر الطريق ... هل يطول

يا مقامي في المغاني
يا مني بعد الاماني
ويح قلبي في المسير
موحشاً ما من مجير !!
ايه يا حلم الازل ... والابد !..
يا ابتسام الخلد هل ... من مرد ؟!.
يا حنيني للخلود !..
يا هيامي في الوجود !.
اي معنى للرجوع ؟!
بعدان تطفأ شموعي؟!

بولس اسعد الشرتوني

من اغاني العزلة

يا وحدتي .. والقدر ... — لعنته — والقضاء
وما يحوك البشر ... وما تقول السماء
فيك استحالت هباء ... وفي ضميري أثر ..
شمت حتى النشيد ... في ظلك الهادى،
والانفلات الرغيد ... من عالم هازيء
فكل ليل مديد
يخط هولا جديد ... لصتي الخاطيء .!
لا شيء غير انتحاب ... وذكريات تموت ..
لا كأس غير السراب ... ولا سوى النار قوت!
اقول ، لو تملك الاقدار رد الجواب :
يا من وراء الحجاب !
الم يحن لي مآب ؟
وحزن هذا الرباب ... اما له من خفوت ؟
بلى ، انا والردى ... كنا على موعد
من قبل ان اولدا
فكنت في مجهل ! ... وكان ، لا كان ، لي
من عالم اسود
قبر سحيق المدى . !

بغداد — محمود البريكان

عنفوان

بقلم اديب صروة

حين عادت الى منزلها بعد غيابها الطويل .. كان توفيق مستلقياً على سريره اصيل ذلك النهار، ونفسه تهفو لان تأخذها سنة من نوم فلا تستحوذ عليها، او هي بين اليقظة والاغفاء، تمور، وقد شاءت الطبيعة ان تستكين الى قليل من الدعة في مثل هذا الوقت من الصيف، فليس من صرصور يهزج، ولا من دوري يسقسق حتي ولا من دابة تنبس .. بيد ان عودة تلك الساعة اخلت بنظام قيلولته المعتادة، وافقدته متعة الاستغراق مع الكون في بحران من الراحة والسكون، فانشغل ذهنه بالانصات الى ترحيب اهلها البالغ واظهار غبطتهم الشديدة بعودتها ولقائها.

احس توفيق لذلك بشيء من الجذل والانشراح الخفي يتسرب الى قرارة نفسه ويفتح امام ذاكرته المطوية صفحات ماض عذب الاحداث عاشاه معاً في الطفولة واليفوعة، اذ نشأا جنباً الى جنب، يلعبان ويمرحان في اعطاف دار واحدة ويسترسلان في تسلق درجات العمر وكأنهما توأمان في اسرة. تجمعها الى ذلك رابطة جوار وألفة اهلين .. ثم غابت ولم ير لها وجهاً منذ ست سنوات.

غابت واضحت لديه طيفاً تلتفه طيات الايهام، على الرغم من ان امها ما انفكت اثناء ذلك عن الاتيان على ذكرها في كل مناسبة امامه او امام اهله قائلة: بنفسي اسماء .. انها الآن في المدرسة. تلك مشيئة اخيها الاكبر، اراد لها ان تتعلم تحت اشرافه حيث يقيم في المدينة .. آه لو تتصورون كم هي ذكية مجدة .. عطوف خلوق .. فاتنة صبوح ..».

وهكذا ما كانت صورة رفيقة الصبا لترتسم في خيال توفيق الا مثالاً للفتاة الراقية والغادة الحسناء، والابنة البارة. فترتفع بنظره الى اقدس المراتب ولايحس نحوها عن بعد الا بكل تقدير واحترام.

وطغى مر الايام على ذكراها .. وحول صاحبنا فكره عنها، لينصرف بدوره الى تلقي علومه في مدرسة بعيدة عن قريته، وليغيب هو ايضاً عن بيت الذكريات فترات متقطعة من الزمن، فاذا هي لديه في عالم النسيان او تكاد، واذا هو لا يعلم من امرها شيئاً .. الى ان عاد هذا الصيف الى قريته لتمضية العطلة المدرسية الكبرى بين اهله وذويه كجاري عادته كل عام. فاذا بوصولها تلك اللحظة .. وعلى هذه الصورة المفاجئة، يوقظ في خواطره جميع تأثرات الحداثة وذكريات الماضي . فاذا افكاره كلها مصوبة نحوها

ولم يكلف نفسه اذ علم بعودتها ان ينهض من قيلولته ليستقبلها مع المستقبلين .. حتى ولم تطاوعه نفسه ان يتسارق النظر اليها وهي تمضي الى منزل ذويها المجاور .. بل قبع يستمرىء على مهل ما ترسمه مخيلته عنها من صور لذيذة.

ولم يمض طويل وقت على وصولها، خيل اليه فيه انها ارتوت من ترحيبات اهلها وقبلاتهم، حتى كان صبره قد نفد فهب واقفاً على قدميه واسرع كالبرق الى منزل الجيران.

— الحمد لله على السلامة يا اسماء.

— الله يسلمك يا توفيق.

— ما شاء الله .. اصبحت صبية فارعة العود.

— وانت ايضاً صرت شاباً ممشوقاً.

— لقد اطلت غيابك عنا. وكنا نذكرك دوماً.

— شكراً. ها انذا قد عدت اخيراً ..

لقد تركت رؤيته لها في نفسه اعظم الاثر وابلغ الاعجاب لما هي عليه من الجاذبية وتناسق القوام والوداعة .. فاستفاقت في ذهنه اسماء الماضي واذا بكومة صورها المتجمعة في خزانة الذاكرة، والمدفونة في احدى زوايا النسيان تتململ وتتدافع وتنفض عنها غبار الاهمال، وكأنها تريد ان تجدد صلتها مع الحاضر العتيد، والمستقبل البعيد.

غير انه وقف امام ثورة الذكريات وقفة المتريث الحكيم، وأخمد غرامها الى حد من الزمن .. مستشعراً نحو فتاته بادىء الامر ببعض الانكماش والنفرة. نظراً لما احسه هذه المرة من وجود حدود وهمية بينهما ما كانت لتقوم من قبل، ولم يكن ليعرف لها سبباً .. او هي نتجت بطبيعة الحال من ان كليهما اصبح في عنفوان الصبا والشباب، ولم يعد ينظر الى صاحبه نظرته الاولى التي كانت تعتمد على براءة الطفولة ومرح الصبا الخالص ..

قصة

وراح يسترخي فضول احاسيسه المكبوتة بقوله: «انها الآن جديدة بكل ما فيها من عواطف وميول. فلا يفقه لها كنهاً. ولا يوقن مما اذا كانت على عهدها الغابر ام لا؟. لقد تغيرت

كثيراً وللايام اسرارها تكشف عنها ما غمض وما استخفى .

وتبعاً لما فرضته ظروف الجوار والالفة بين الصديقين القديمين من تعدد اللقاءات ، فقد استرابت موقفه المتحفظ منها ، وجهدت هي بدورها على الا تعرض امامه سوى جانب واحد من حياتها . فما تحدثه الا حديث العلم والثقافة . او حديث المتخرج حديثاً من المدرسة والذي لا ينظر الى الحياة الا عبر مجازات من النظريات والقيم .

وشاقها ان تسخر منه يوماً بعد نقاش حاد بينهما حول مشكلة من المشاكل الاجتماعية فقالت له :

— اصحيح انك احببت هنداً يا توفيق ؟

فاستغرب منها هذا السؤال كما دهش لطرقها موضوعاً كهذا طالما تحاشت الخوض فيه ، ولكنه اسرع بالاجابة :

— انا ؟ ومن قال لك ذلك ؟

— لا تنكر . . سمعته من كثيرين .

فانتفض كمن اصابته رعدة وقال :

— تلك فتاة ساذجة . . لاطفتها يوماً . . فظنت اني احبها . بيد انها لم تدخل قلبي هي ولا غيرها حتى الآن . .

— اذن لم تعرف الحب بعد !

قالتها باستخفاف ومكر وقد قصدت احراجه غير انه اجاب :

— هيهات ان يتاح لي .

— او تؤمن بالحب ؟

— كل الايمان . ولماذا لا ؟

— كنت اعتقد بك غير ذلك . . فالحب ليس الا اهواء وميولا ساذجة تتقاذف القلوب الطرية . فاذا بالمرء اسير شهواته وعبد رغباته . اما الحب الطاهر الشريف او ما يسمونه بالحب العذري فهذا شيء نادر الوجود . ولا سيما في هذه الايام .

***

ما كان موقفها هذا الا ليزيده دهشة واستغراباً . . ويحتار فيما بينه وبين نفسه لهذه الآراء المترمتة والتي لا يمكنه الا التسليم بها ويستغرق مع خواطره مستقصياً غوامض هذه الفتاة فلا يصطدم الا بطلاسم والغاز .

وكان كلما خاطبها او خاطبته في مسألة من المسائل وكثيراً ما كان يحدث ذلك عدة مرات في النهار ، يخيل اليه انه يستشف من خلال نظراتها الساهمة اليه ، شيئاً من الوله والاندفاع . او يحس بأنها تكن له بعض العطف والميل . . ولكنه لا يستطيع تفسيراً لهذه المعالم !! . . ويتساءل : ترى الحب ؟ ام ان ذلك لا يخرج عن كونه مظهراً من مظاهر الصداقة البريئة التي نمت بين خدينين اليفين لفتها وشائج محكمة من صداقة جوار ، ومعشر وطفولة وتقارب اعمار ؟

على انه مع استسلامه لهذه الافكار المترجحة بين الشكوك والظنون كان لا يدري بأيها يوقن والى ايها يركن .

وكأنه ازاء ما يعاني من خوالج بمضة استراح اخيراً الى فكرة مرضية اعجبته ، فقد عزم وقد رأى نفسه مترعاً بغرامها العنيف ، وتأجج قلبه نحوها بفيض من العواطف الصارخة والاحاسيس الثائرة على مكاشفتها بحبه ، اذ باتت لديه كنزاً ثميناً يجب الا يفوته ، وثمرة نادرة يجب ان يقطفها هو وحده . . فهي التي تقدر على انقاذه مما يحيط به من فراغ مجدب وسأم يائس . .

انها ، بكلمة صغيرة ، فتاة احلامه التي طالما بحث عنها .

ولكن كيف به الى بثها لواعج قلبه ومصارحتها ما بنفسه ؟ .

انه لا يجرؤ على ذلك وهو من موقفها تجاهه في شك وريبة . . اذ ربما تزدريه وهي التي تعتبر الحب ضرباً من اللهو والسخف . وربما ايضاً تتلقى تصريحه بالقبول والرضا . ولكن ما العمل ؟ ايدفن عواطفه في مهدها ويكتمها عنها حتى يرى من أمرها سبيلا الى الافضاء بسره ؟ وهو سيحتمل من جراء ذلك من الجهد والكبت ما يرهق نفسه ويكدها ؟ . . ام يفاجئها بحبه ويفتح لها عن شغاف قلبه ولكن بعد ذلك من امرها ما يكون ؟ هذا هو الامر الذي يحزبه ويبحث له عن مخرج منه . .

***

اما هي فمع تدفق الايام وتوافر العشرة ، فقد وجدت في رفيقها ما وجده بها . . فحنت اليه بعواطفها ومالت اليه بروحها الظامئة ولكنها وقفت عند الوازع الذي وقف هو عنده ، وكبتت ما بنفسها منتظرة ان يبدأها هو بمطارحته . . وقد قوي دافع الاعتداد بالنفس عندها الى حد طغى معه على كل ما سواه من دوافع وميول ، وقد ربأت بعواطفها ان ينالها الخذلان والفشل ، وهكذا اصبح الاثنان بكبر النفس والانفة مما جعل كلا منهما يأبى ان يفاتح صاحبه بحبه او يجرؤ على مكاشفته بميوله ، محتملين في ذلك اشد اللغب واصعب المضض .

وقادته عواطفه المتأججة التي لم تعد تحتمل الكبت الى صديقته الاخرى هند التي وجد فيها تفريجاً لاوار غرامه ، وسبيلاً سهل المنال لقضاء اهنأ ساعات الهوى والتصابي معها ، فجدد صلته بها ، فاذا هي تمنحه جل عواطفها وتندفع نحوه باقصى ما في نفسها من

رغبات وميول هي اقرب الى السذاجة منها الى العمق.. ووجدت مشاعره المتوثبة لديها منصرفاً فانشغل بها بعض الوقت وخلص الى نوع من المتعة والنشوة أنستاه ولو موقتاً مواصلة التفكير بصاحبته اسماء رغم ان قلبه ما فتيء عامراً بحبها. ولكنه حب اصبح اقرب الى الاعجاب والتقدير منه الى المناجاة والتشاكي.

وكأن اسماء شعرت بهذا الانقلاب الذي طرأ على مجرى حياته واحست بشيء من التغير اعترى عواطفه نحوها، وبقليل من التحمس اصاب رغبة في الاجتماع بها كجاري العادة، فخاطبته يوماً:

— اما زلت مصراً على انك لم تعرف الحب بعد؟

— وماذا تقصدين بسؤالك هذا؟

— لا شيء. انما بدأ الناس يتهامسون عن علاقتك بهند!

— ايسوؤك ذلك؟

— ابداً. (قالتها بشيء من الضيق وقد شعرت بأنه أحرجها).

— كلا يا عزيزتي.. اني كفرت بالحب.

— لماذا؟

— لقد نفعتني تعاليمك!

***

فكان ذلك انهياراً لآمالها الطرية وخيبة صدمت ميول قلبها الغض فوقعت في حيرة وألم، وقد الهبت الغيرة نوازعها الطاغية..

واضرمت في نفسها ثورة عاتية اخذت تضج في اعماقها وتقلق افكارها وخواطرها وهي التي كانت تنتظر على يده ما يلبي نداء عواطفها المتأججة، ويستجيب لرغبات صباها المتفتح.

وتطلعت الى نفسها فاذا هي الفتاة الناهد التي لا ينقصها جمال وقد صدمها جفاء، وآلمتها غيرة. بينما لانوثتها عليها حقوق ولقلبها واجبات. وهي بين حقوق الانوثة التي تفرض عليها الاجابة والمجاراة وبين واجبات القلب التي تدفعها الى الانفة وعنفوان الشباب، وتأبى عليها الرضوخ والاستسلام.. اضحت في حيرة قاتلة وفي صراع نفسي عنيف. ولقد كان بأمكانها ان تحافظ على توازن هذين الدافعين القويين في نفسها بالامل والرجاء.. ولكن دخول تلك الفتاة الاخرى بينها وبين فتاها قضى على ذلك التوازن واجج نار المعركة في صدرها..

وبينما كان توفيق مستسلماً الى قيلولته اصيل يوم صيف وهو يتقلب بين السبات واليقظة سمع حفيف ثوب ناعم هفاف يقترب منه، وفتح عينيه قليلاً فاذا باسماء منحنية عليه وقد طفرت الحمرة من وجنتيها وتدانى نهداها المضطرمان الى صدره. والتقت عيونها فعبرت عن كل شيء.. وما وسعها ازاء ذلك الا ان اعلنا تفاهمها بقبلة عميقة اذابا بها شفاهها دون ان ينبسا بكلمة.

باريس — اديب مروة

جندي في معسكر الوليد الاموي

بقلم عيسى ميخائيل سابا

●



في كتب الادب والتاريخ متعة وسلوى، وحكمة وعبرة، تقص علينا احاديث النبل والشرف، وتروي لنا مفاخر الوجد والمجد، وتظهر لنا من صفحات الغابر ما تتردد بين سطوره اصدية مكارم الاخلاق، وما كان عليه الجندي العربي من اباء وشمم، تشام منها بوارق العزة والفخر، في اغاثة الملهوف ونصرة الضعيف.

تراث مجيد خلفه الاقدمون وهو غرة في جبين الدهر، وبسمة حائرة في ثغر الابد، تريك جمال الاعمال، وكبر النفس، وتبعث فيك الهمة، وتحملك على البحث والتفتيش عن ذلك الاثر المحمود.

من ذلك ما جرى في خلافة الوليد بن عبد الملك الأموي ، يوم انفذ اخاه مسلمة الى بلاد الروم فاتحاً ، فسار بجيش كامل العدد والعُدد ، وكتب له النصر ، وكان فتحه مبيناً ، وكان فيمن عُرض عليه من السبي رجل شيخ ، رسم الدهر على تقاسيم وجهه سطوراً تطلعك على افراحه واتراحه . فامر الامير بقتله لعلة حربية . فقال الشيخ : ايد الله الامير وما حاجتك بقتلي وانا شيخ قد دلفت الى سن تنتظرني بها الارض ، لتطويني ، فان انت تركتني وعفوت عني جئتك باسيرين من المسلمين .

— الامير : ومن لي بمن يضمن قولك ؟

الشيخ : انا ايها الامير ، اذا وعدت وفيت .

— مسلمة : لست اثق بك وانت اسيري ، وقد ابليت في الحرب ، وأسأت الى جندنا ، وما اشفقت .

— الشيخ : انه الواجب يا مولاي وانت اعرف بذلك مني .

— مسلمة : يا شيخ ! أمن كفيل يضمنك وتقبل ضمانته عندي ؟

— الشيخ : دعني ابحث في معسكرك لعلي أتصفح الوجوه فأتعرف الى من يكفلني لديك ، ثم امضي وأجيئك بالاسيرين .

فوكل مسلمة من امره بالطواف معه والاحتفاظ به ، فما زال الشيخ ، يتصفح الوجوه ، حتى مر بفتى من بني كلاب ، قائماً يحس فرسه ، قرأ على وجهه صحيفة الرجاء وحسن الوفاء ، فتقدم منه الشيخ وقال : يا فتى اتضمنني لدى الامير وقص عليه ما وقع له .

فقال الفتى : لبيك يا شيخ ، انك ما اخترتني من بين القوم الا لثقة ، فما اخيب لك املاً ، ومضى معه الى الامير ، وضمنه لديه ولما برح الشيخ المكان ، التفت مسلمة الى الجندي الفتى وقال : اتعرف الرجل يا فتى ؟

— الفتى : والله ايها الامير ما وقع لي خبر من اخباره قبل اليوم ، وما رأيت له صورة قط .

— مسلمة : اذن كيف تضمنه وانت لا تعرف من امره خبراً ؟

— الفتى : رأيته ايها الامير يتصفح الوجوه ، فما وقع اختياره الا علي فكرهت ان اخلف له ظناً وقد انتخبني من بين القوم ، فما اردت ان اخيب له املا ، لئلا يقال ان المروءة فقدت اصحابها ، وان اسيراً استغاث فما لُبي ، ودعا فما أجيب .

— الامير : او تعلم انك مسؤول عن ضمانك ؟

— الفتى : نعم ايها الامير اعلم ذلك ولا اجهله .

فلما كان من الغد الباكر ، جاء الشيخ بالاسيرين ودفعهما الى الامير ، وسأله ان يأذن للفتى الضامن ان يسير معه الى حصنه ليقدم له شيئاً جزاء معروفه . فقال الامير : ان شاء فليمض ، ودرج الشيخ والفتى الى حصن كأنه على مرقب النجم يحسر دونه الناظر . ولما استقر بهما المقام ، التفت الشيخ وقال للفتى : أو عالم انك ابني ؟ فاسقط في يد الفتى واخذته دهشة وقال : كيف ذلك يا شيخ ؟ وانا عربي مسلم وانت رومي .

— الشيخ رويدك بني فلا تعجب ، اخبرني عن امك .

— الفتى : امي رومية ، فتفرس فيه الشيخ ملياً وقال : اليك صفتها ، واستحلفك ان صدقت الا صدقتني ؛ وشرع يصف ام الفتى فما يخرم منها شيئاً ، وقال : كيف رأيت يا بني ؟

— الفتى : اي والله انها لكذلك ومن عرفك اني ابنها ؟

— الشيخ : بالشبه وتقارب الارواح وصدق الفراسة ، ثم اخرج اليه من الحصن امرأة فلما رآها ، لم يشك في انها امه ، وخرجت معها عجوز ، وأقبلا على الفتى يقبلان رأسه ثم ان الشيخ التفت اليه وقال : يا بني هذه جدتك لامك وهذه خالتك اخت امك ، وخرج من الحصن ودعا بشبان فأقبلوا معه ، وعرفهم بالفتى العربي ، فتهافتوا عليه يقبلونه وهم اخواله وبنو خالته ، واخرج الشيخ اليه حلياً وثياباً فاخرة وقال : هذه كلها لوالدتك قد حفظتها منذ سبيت ، فخذها معك وادفع بها اليها فانها ستعرفه واعطاه لنفسه مالا وثياباً وحمله على دواب والحقه بمعسكر مسلمة ، ورجع الفتى الى منزله ، واخذ يخرج الشيء بعد الشيء ، مما عرفه الشيخ انه لامه ، فكانت تراه وتبكي .

وقالت لولدها : قد وهبتك هذا كله ، ولكن قل لي . اي بلد دخلت حتى صارت اليك هذه الثياب ، وهل قتلتم اهل ذلك الحصن .

فقال : رويدك يا اماه واسمعي الخبر ، وساقه اليها كما وقع له ، فقالت : جوزيت خيراً يا بني ، ان الشيخ ابي والعجوز امي والصبية اختي والشبان اخوتي وبينهم ابناء اختي .

هذا خبر صغير قرأته في كتاب خلاصة الذهب المسبوك ، تصرفت في روايته ، وما اكثر امثال هذه المرويات ، وفيها ما شئت من كرم وما شئت من خلق عال تستقي من غيرها الصافي ، وتجيل الطرف في منابت الفضل :

فان لنا قربى ومحض مودة ... وميراث آباء مشوا بالمناصل

ان الشيخ اعطى مالا وثياباً فنيت واما الجندي العربي فقد ابقى أثراً يروى وثناء يذكر فيشكر :

ولا شيء يدوم فكن حديثاً ... جميل الذكر فالدنيا حديث

عيسى ميخائيل سابا

نشيد الحياة

للشاعر الامريكي لونكفلو

١٨٠٧ — ١٨٨٢

H. W. Longfellow

●

ترجمة
مرتضى شرارة
بغداد

●

لا تردد على مسمعي في صوت نائح :
ليست الحيـــاة سوى حلم فارغ !
وأن الروح الهاجعة لا حياة فيها
والاشياء ليست كما تبدو !

***

الحياة حقيقة ! الحياة جهاد !
وليس القبر غايتها المنشودة
« انكم من التراب واليه ترجعون »
لم تقل عن الروح.

ليست الافراح .. ولا الاتراح
طريقنا ، أو نهايتنا المحتمة
وانما علينا أن نعمل ، لكي يجدنا كل غد
ونحن أبعد منا اليوم .

***

الحيلة واسعــة ، والزمن يمضي مسرعاً
وقلوبنا ، ولو انها قوية باسلة ،
لا زالت تدق — كالطبول الخافتة —
ألحان المسير الجنازي .. الى القبر !

***

في ميدان معركة العالم — الواسع
وفي أثناء صفو الحياة وطمأنينتها
لا تكن كالاخرس .. قطيعاً مسيراً
بل كن صنديداً في قلب المعركة .

***

لا تثق بالمستقبل مهما كان بهيجاً !
ودع الماضي الميت يدفن ميته
واعمل .. اعمل في الحاضر الحي
بوحي من قلبك .. ومن الاله في السماء

***

ان حياة العظماء من الرجال
تذكرنا بأننا نستطيع ان نخلق حياة سامية
ونمضي تاركين وراءنا
آثار أقدامنا على رمال الزمن.

***

آثار أقدام
قد يراها يائس تحطمت سفينته
في خضم الحياة المظلم
فيعاوده الامل .

***

دعنا اذن نسمو .. ونعمل
بوحي من قلوبنا أياً كان المصير
فلنمض .. ننل ..
ونتعلم كيف نعمل .. وكيف ننتظر .



كلهن نساء

للاستاذ سهيل ادريس – ٩٥ صفحة – دار العلم للملايين – بيروت

من بين أسماء كتاب القصة في لبنان يبرز اسم الاستاذ سهيل ادريس بين الطليعة بفنه الرفيع وأقاصيصه الممتعة وأدبه المتين. واذا قلنا ان اسم سهيل ناصع في سماء القصة اللبنانية فان هذا المعنى المحدد الخاص يمتد ويتسع حتى يشمل سماء القصة العربية بمعناها العام. وقد طلع علينا الاستاذ ادريس بمجموعته الاولى المسماة « أشواق » في عام ١٩٤٧ ، وأردفها بالمجموعة الثانية المعنونة بـ « نيران وثلوج » في عام ١٩٤٨ وها هو ذا يتحفنا هذا العام بمجموعته الثالثة « كلهن نساء ».

ويمتاز قصص مؤلفنا على العموم بتوافر العناصر الفنية فيها وبعدها عن الاسفاف ، كما يمتاز أسلوبه بعذوبة اللفظ وجمال التعبير وحسن الاداء. أقول هذا في الوقت الذي يطغى فيه على الاسواق سيل من الاقاصيص التي لا توصف بشيء سوى انها محاولات موفقة لافساد ذوق القارىء واضاعة وقته وماله. ولعل من الواجب علي ان اقرر حقيقة تواجه كل من يعنى بانتاج الاستاذ ادريس ويتتبعه، هي أن صاحبنا يتقدم بفنه القصصي تقدما مضطردا. فمن الواضح أن مجموعته الثانية أقوى من الاولى، ومجموعته الثالثة أقوى من الثانية. هذا من حيث الاداء القصصي ، أما من حيث « الفكرة » فيخيل الي أن صديقنا يسير بطريق عكسي. فقد لاحظت ان العمق في أقاصيص « أشواق » أبعد غوراً مما هو في المجموعتين الاخريين ، ولا أغالي ان قلت ان « السطحية » تغلب على أقاصيص المجموعة الاخيرة « كلهن نساء ». صحيح أن سهيل ادريس قد قطع شوطاً طويلا بأقاصيصه نحو الكمال الفني ، وصحيح ان تصوير العواطف قد تقدم فيها وارتقى وأصبح بوسع المؤلف ان يعبر أصدق التعبير عن الخلجات النفسية التي تعتري أبطالها ، لكنه انحدر نوعاً ما في اختيار الافكار وانتقاء الشخوص. أما التنوع في الموضوعات فيؤسفني كل الاسف أن أقول انه يكاد يكون معدوماً. فالاستاذ ادريس ينظر الى الحياة بمنظار ذي عدسة واحدة.. منظار لا يعكس سوى صور الحب والغرام! وقليل من تلك الصور التي يعكسها ترتفع الى مصاف الابداع.

ولنستعرض الآن أقاصيص الكتاب لنرى ما قدمه المؤلف من الشخوص والافكار.

عنوان القصة الاولى « الخطيئة الطاهرة » وتدور فكرتها حول شاب فقد ايمانه بالمرأة كزوجة مخلصة لكثرة ما لمس من خياناتهـا الدنيئة في مغامراته الغرامية. ثم تعرف الى زوجة صديق له وتطورت تلك المعرفة الى غرام عنيف ، لكن تلك الزوجة سرعان ما سقطت في الفراش واشرف بها المرض على الموت ، ولمرضها قصة حكتها له. كانت تحب شاباً قبل زواجها بصديقه حباً طاهراً الا ان ظروف الحياة اضطرتها الى الاقتران بغيره ، ثم التقت به بعد زواجها وراودها عن نفسها فترددت في الخطيئة. لكن ضميرها استيقظ بعدئذ فأذاقها عذابه حتى سقطت صريعة للمرض.

وتتجلى فكرة هذه القصة حين يعرض عليها هذا الشاب الزواج بعد ان طلقها زوجها لعلمه بخيانتها ويقول لها في اخلاص: لا تقولي شيئاً يا ناديا. انها امرأة شريفة تلك التي تشعر بخطيئتها ويرمض ضميرها قواها حتى تدنو من الموت.. لقد كنت أشك في ان للمرأة التي تسقط ضميراً حتى التقيت بك ، وأنت اول امرأة اثق بهـا وأومن بأنها لن تسقط.

مما لا ريب فيه ان في هذه القصة انسانية عميقة. وهي تنفرد – الى جانب ذلك – بتصوير فني دقيق وتحليل نفسي ممتاز، ويحق لي ان أعتبرها أجمل اقاصيص الكتاب.

أما القصة الثانية فهي « القصاص ». الاستاذ عاطف رمزي قصاص مصري ربطته بآخر لبناني روابط المودة والاعجاب المتبادل فأخذا يتراسلان ويحملان رسائلهما شئون حياتهما. وتتوالى رسائل القصاص المصري على صديقه اللبناني تحمل له انباء غرامه بفتاة تعرف بها في قاعة فندق هيليوبوليس. وينبئه في احدى تلك الرسائل أنه سيخطبها لثقته ان غاية مناها ان تصبح شريكة حياته، ويفرح الصديق اللبناني بتوفيق صديقه المصري في حبه ولكنه لا يلبث حتى يتلقى منه رسالة مختصرة يخبره فيها ان صديقته قدمت له اخيراً شاباً جميلا بصفة خطيبها وسألته ان يكتب عن حبها قصة.

ألا ترى أن فكرة هذه القصة على شيء من السطحية والتفاهة؟! ولكن علاجها حظي بنصيب موفور من الجمال.

والقصة الثالثة المعنونة بـ « عودة الماضي » قصة جيدة وان كان في فكرتها شذوذ خطير ، فزاهية قد احبت في صباها شاباً وتزوجت منه ، ودام زواجها ستة عشر عاماً حتى التقت بشقيق زوجها فشغفها حباً ، لقد رأت فيه ماضي شباب زوجها الرائع . وهجرت زوجها واولادها وفرت معه الى باريس لتستعيد ماضيها .

وقد بلغ الاستاذ ادريس الجودة فيها بتصويره النفسي الرائع وتحليله الدقيق لخلجات القلب وتهاويل الضمير ، كما قدم لنا صورة حية المرأة ذات العاطفة الدفاقة والمشاعر الرهيفة .

ونلمح في القصة الرابعة « دموع في الكونتنتال » بريقاً من فكرة قصة « الخطيئة الطاهرة » ولكن هذه القصة تمتاز بسطحية المعالجة وتفاهة العرض على العكس من القصة الاولى ، احبت ابنة الباشا في صباها فتى جميلا قوياً يسكن كوخاً مجاوراً لقصر ابيها. وكانت تلتقي به وراء القصر فيحتضنها ويقبلها فتستشعر لذة كبيرة ، لكنها تحس نحوه بالازدراء حين تفترق عنه لفقره وغناها وضعته ونبلها . ومضت الايام وتزوجت من شاب جميل ثري فنسيت صاحبها القديم . ثم جاءها في يوم من الايام يطلب منها مالا، وحين رأته انبعث في نفسها حشد من اللذائذ الفائتة، فضعفت وضعف ، وفاجأهما زوجها وهما مستسلمان للخطيئة فخرج ولم يعد ولكنها كتبت له رسالة تعترف له فيها بكل شيء وتطلب منه الصفح والغفران، فصفح عنها وغفرلها سقطتها وعاد اليها من جديد .

وفي القصة التالية « الامواج الجائعة » تتدهور الفكرة الى الحضيض تفاهة وسطحية ومعالجة . فوداد شابة لعوب لا هم لها سوى اصطياد الشبان على شاطىء البحر بلعبة ساذجة ، فهي تتظاهر بالغرق امام الشاب الذي يقع عليه اختيارها فيخف الى نجدتها وبذلك تنعقد بينهما صلة الصداقة ، لكن حياة هذه الفتاة العابثة ما تلبث حتى تنتهي بالغرق .

وما قلته عن قصة « الامواج الجائعة » اقوله عن قصة «الخائبة» وان كان التحليل النفسي في الثانية اقوى مما هو في الاولى ، فهي قصة فتاة حائرة في عواطفها مضطربة في حياتها الغرامية . تعرفت بأخوين جميلين وبادلها كل منهما الحب . ولم تكن تعلم اول الامر لاي منهما تميل ، ولكنها ادركت انها تحب الشقيق الاصغر عندما تقدم الشقيق الاكبر لخطبتها . ورضيت بالخطبة على امل ان ينفسح لها المجال للاتصال بالشقيق الاصغر، فلما خيب هذا املها فسخت الخطبة.

وتقف قصتا « انانية » و« لعنة الحب » على قدم المساواة في قيمتها الفنية . وعندي انها على حظ موفور من الجودة بتحليلها النفسي الرائع ، وعلى قسط لا بأس به من الطرافة بفكرتيهما الشائقتين . تصور قصة « انانية » نفسية معقدة لشابة تحاول ان تفرض رغباتها الخاصة على الآخرين ، حتى في الحب . وتقع في غرام فتى ويقع في غرامها ولكنها لا تسمح له بتقبيلها او ضمها الى صدره لانها رغبة لم تصدر من ذات نفسها ، وتعذب حبيبها مدة عامين لا تسمح له خلالها بلمس شفتيها الى ان تفاجئه هي بتلك الرغبة . قصة جميلة ولا شك يوفق فيها الاستاذ ادريس الى تصوير مشاعر المرأة الانانية التي تنشد الاستقلال في الحب .

وتصور قصة « لعنة الحب » حالة نفسية شاذة تعتري عاشقين والهين . اذا ابتعدا عن بعضهما احس كل منهما نحو الآخر بحب جارف ، واذا التقيا دب الى نفسيهما السأم والعذاب . في هذه القصة يبدع الاستاذ ادريس بتصوير العواطف المضطربة والاحاسيس الجياشة شأنه في كل حين ، ولكن ما آخذه عليه هو شيئاً من المبالغة والبعد عن الواقع في رسم صورة العذاب الذي يصيب العاشقين ساعات اللقاء .

اما القصة الاخيرة « شر ما فيها » فلاول مرة في هذه المجموعة يقدم لنا الاستاذ ادريس نموذجاً حياً من تلك النماذج البشرية التي يزخر بها المجتمع . فالحداد ابو زهرة شاب في الثلاثين من عمره ولكنه لم يتزوج بعد . فهو يتخذ قول الامام علي : (المرأة شر كلها) شعاراً له ويعتقد ان البعد عن المرأة ضروري لكل انسان عاقل . ولكن الاقدار تلعب لعبتها فيفتح ملهى ليلي امام دكانه . ويثور ابو زهرة ويعلن رغبته بالانتقال الى مكان آخر ، ولكن ما ان تمضي الايام حتى يصبح من رواد الملهى المدمنين . ويقع في غرام راقصة شقراء فيهجر دكانه ويدمن الخمر متخذاً من ذلك الملهى موئلا دائماً . ثم ينتهي به المصير الى السجن حين يحاول ان يطعن تلك الراقصة بعد ان طلب اليها الزواج فسخرت منه . ولست بحاجة الى القول ان الاستاذ ادريس كان موفقاً كل التوفيق في تصوير شخصية ابو زهرة وتحليل مقوماته النفسية .

قبل ان اختم كلمتي في هذا الكتاب اريد ان الفت نظر صديقي الاستاذ سهيل ادريس الى تلك الهوة السحيقة التي تحفرها مهنة الصحافة لادبه . اجل يا سهيل، ان عملك الصحفي يجنح بأقاصيصك نحو تفاهة الموضوعات وسطحية التفكير وضعف المعالجة، فان لم تتحرر من قيوده فسينحدر بأدبك الى درك لا يرتضيه عشاقه له . اني انبئك بذرة القصاص الممتاز يا سهيل وباستطاعتك ان تقدم لنا نماذج بشرية خالدة من تلك التي يعج بها مجتمعك . اجل

ان يوسعك ان تتحفنا بصورة خالدة من حياة مواطنيك، ولا تحتاج لكي تقدم لنا تلك الصور الا الى شيء من التركيز والنظر الى الحياة بمنظار متعدد العدسات .

القاهرة — شاكر خصباك

نشيد الانشاد

للاستاذ عدنان الذهبي – ٨٨ صفحة – دار الفكر العربي – القاهرة

مسرحية رمزية يطالعنا بها الاستاذ عدنان الذهبي بعد مباحث عميقة قرأناها له في « الاديب » و« علم النفس » ، ابطالها قلة قليلة ، ولكن كلا منهم يرمز الى فكرة بعينها ويؤدي رسالة لا يقصدسواها .

فهناك « شلميث » وهي راعية تهوى حبيباً مجهولا هو الطبيعة في انطلاقها ، والبيداء في جمالها والبحر في سحره ، والسماء في زرقتها الداكنة الفاتنة ، انها تحب بلا مطمع ، تحب للحب نفسه .

وهناك « الملك سليمان » صاحب الدور والقصور والاماء والجواري ، انه طالب اللذة يريد اقتناصها . فيطارد الراعية عساه يظفر منها بما يشفي غليل فؤاده الصادي . فهو ساعة يداهنها ويداعبها وتارة يعرض عليها المفاتن والمغريات ، وتارة يأمرها ويستبد بها ، وتارة ينسى سطوته وجاهه ويكاد يقبل قدميها . ولكنها هي هي لا تتغير ولا تتحول ، فالطبيعة هواها ، والانطلاق عشقها ، والدنيا الرحيبة مجالها ، اما القصور والعمائر فهي قيود وسجون لا ترضى بها نفسها المنسرحة الهائمة . فسليمان يمثل الحب النفعي او الوصولية والانانية .

وهناك شخوص ثانوية ، ولكنها تؤدي ما طلب منها اداؤه ، فأم الراعية ترمز للتراث الديني ، ومربية سليمان تمثل المعرفة وكبير الامناء يدل على الحكم والجاه ، وهكذا .

وابرز ما تلحظه في مسرحية « نشيد الانشاد » هو ازمة الشك التي تستبد بالراعية ، فهي ترى حبيبها رأي العين ، ولكنه كالسراب الخداع . وهي تضرب في بيداء قاحلة تريد ان تبلغ اثير نفسها ، ولكنها لن تبلغ شيئاً لانها على غير هدى تسير ، وفي اسار الواقع تكبل قدماها .

وتذكرنا هذه المسرحية من حيث الاوهام التي يسير وراءها ابطالها ، بمسرحية « البطة المتوحشة » The Wild Duck للكاتب النرويجي الكبير ابسن . فبطل هذه المسرحية ضابط متقاعد راح عنه مجد الجيش وبطولته واصبح صريعاً لخياله يتكلف بالعظمة ويدعيها ويطلبها ولكن بلا جدوى .

ولكن مسرحية الاستاذ الذهبي اقل تعقيداً او تشابكاً من مسرحية « إبسن » ، بل انه لم يحفل كثيراً بالمسرح وكيف يكون تنسيق الاثاث فيه والمناظر التي يوحي بها . وهو بهذا يدع للمخرج مجالا كبيراً يستطيع فيه ان يصور الرسوم التي يراها مطابقة لواقع الحال ، ويستعين بما يعوزه من أثاث ومستلزمات .

اما الحوار الذي يدور على ألسنة المتبارين في هذه المسرحية ، فهو اقرب الى السليقة والطبيعة منه الى التصنع والكلف . ولكن تقطعه في بعض فصول الرواية يزيد مهمة القارىء عسراً ، وهو عسر قصير الامد على كل حال .

هذه محاولة اولى للاستاذ عدنان الذهبي ، واخالها محاولة موفقة وبداية طيبة . وهو بمباحثه في الرمزية انما يرتاد افقاً جديداً في الادب العربي ، ويشق لنفسه ، ولغيره ، طريقاً غير مطروقة . واذا كان مجال المسرحية لا يسمح بالتعرض للمباحث العلمية المستفيضة ، فان عكوفه على الدراسات الرمزية سيجد له منفذاً آخر عما قريب .

القاهرة — وديع فلسطين

الكواكب السائرة باعيان المئة العاشرة

كتاب لواضعه الشيخ نجم الدين الغزي — الشافعي — وهو اديب ينحدر من بيت علم ووجاهة . والظاهر انه اراد في عمله هذا ان يحذو حذو جده — رضي الدين الغزي — الذي سبق بدوره الى وضع كتاب في تراجم اعيان القرن التاسع رتبه على حروف المعجم باستثناء المحمدين والاحمدين الذين انزلهم الصفحات الاولى من مؤلفه تبركا وتيمنا . . وهكذا فعل حفيده نجم الدين . وعنوان الكتاب الذي نحن بصدده كاف للتدليل على محتوياته . فقد عني واضعه باعيان المئة العاشرة — وبين هؤلاء من الفقهاء والادباء والشعراء — من هو جدير بالدراسة . ولقد احسن استاذنا الدكتور جبرائيل جبور في تحقيق هذا السفر الادبي النفيس الذي يلقي ضوءاً على معالم تلك الحقبة القاتمة من تاريخنا الادبي . فلقد درج المحقق في عمله هذا على طرق علمية جامعية دقيقة بحيث انه لم يعتمد نسخة واحدة بل نسخاً مختلفة مما وقع في متناول يده ، من ذلك نسخة الازهر ونسخة جامعة بيروت ونسخة المكتبة الظاهرية وهي التي اعتمدها للنشر ربما لوضوحها وضبطها . وها هو يضع بين ايدي الادباء الجزء الثاني من كتاب الكواكب السائرة . طبع هذا الجزء منذ شهرين تقريباً في مطبعة المرسلين اللبنانيين — جونية — في حين ان الجزء الاول طبع في المطبعة الاميركية — بيروت — وهذا الاخير يقع في نحو ٢٦٠ صفحة من الحجم المتوسط . هذا وللدكتور جبور جولات موفقة في ميدان البحث الادبي العلمي . حسبنا من ذلك دراسته كتاب العقد لابن عبد ربه

وديع ديب



كنز السفينة سانتا كروز

●

زفير في اعماق البحار آلاف السفن ، ويحتوي بعض هذه السفن كنوزاً تكاد تشبه كنوز الاساطير، ولكن الوصول اليها عسير جداً ان لم نقل انه ضرب من المستحيل ، فقد استطاع بعض السباحين الماهرين الغوص في غور اليم الى عمق ثلاثمائة قدم ، ولكنهم لم يكونوا يستطيعون تجاوز هذا الرقم لشدة ما يتعرضون له من اخطار .

واذا تخيل القارىء ضخامة تلك الكنوز التي غمرتها المياه واحتجزتها في اعماقها ، فلن يخالجه اي دهش حين يعلم انه كثيراً من المهندسين والعلماء والمغامرين كانوا لا يفتأون يبحثون عن طريقة يستطيع المرء بواسطتها الهبوط الى مدى سحيق في غور الماء، والعمل هنالك في امان ، لاخراج تلك الثروات الخرافية .

الشروع في المغامرة

من هؤلاء المغامرين شاب اميركي يدعى هاري .أ. ريزبرغ كان يغوص الى عمق ثلاثمائة قدم ، ثم بدا له ان يقتحم الاخطار التي تكمن فيما وراء هذا العمق ، طمعاً بالكنوز الدفينة . وقد سجل هاري ريزبرغ تفاصيل مغامرته بنفسه ، ونحن نلخصها عنه فيما يلي :

اختارت اوجين .ج. رومانو لاحدثه برغبتي ولم يكن رومانو نوتياً ولا رائداً من رواد البحر ، ولم يسبق له ان مارس مهنتي ، مهنة البحث عن الثروات الدفينة في اعماق اليم ، ولكنه كان من الشبان النابهين وقد سجل اختراعات صناعية عدة، وكان الى ذلك مولعاً بمطالعة ما يكتب عن هذه الثروات ، شغوفاً بتتبع انباء الباحثين عنها ، وقد اطلعته على تجاربي كلها ، وقلت له ان الهبوط الى الاعماق متعذر ما لم ينتج التكنيك حتى الآن من وسائل الغوص .

وكان رومانو صاحب مرأب ، فأخذ يحاول صنع جهاز جديد للغوص ، وبعد تصاميم عدة وتجارب كثيرة ، استطاع ابداع جهاز لم يسبق اليه ، كانت جميع الدلائل تشير الى انه ضالتنا المنشودة .

وقد بادر رومانو الى تسجيل اختراعه ، وعكفت انا على دراسة هذا الاختراع ، فلم اجد فيه نقصاً واحداً ، بل وجدت جميع الشروط اللازمة متوافرة فيه ثم عمدنا الى تجربته في بوجيت سوند تحت اشراف وزارة البحرية ، فوضعنا في الجهاز قطة وانزلناه الى عمق خمسة آلاف قدم ، وما كدنا نشد به ونفتح بابه لنرى ما حل بالقطة حتى وثبت بكامل صحتها وحيويتها . فذهلت لهذه النتيجة ، لاني كنت اعرف ان ضغط الماء تحت هذا العمق السحيق حري بان يحطم كل جهاز على هذا الشكل .. وتحلب الريق في فمي وانا اتصور الكنوز التي بات في وسعي الحصول عليها بواسطة هذا الجهاز العجيب .

ولكن ما ان عاودت بحثي مع رومانو ، حتى بدا لي انه عدل عن استخدام جهازه بصورة فردية ، وان ينوي بيع اختراعه للحكومة بثمن ضخم ، فلاحقته بطلبي والحاحي حتى قبل اعطائي الجهاز لاستخدامه مرة واحدة كتجربة لكنه اشترط مقابل ذلك ان اضمن له تسديد النفقات التي كلفه اياها هذا الجهاز ومنها نفقات التجارب الاولية التي قام بها ونفقات التسجيل ، وقدرها خمسة وعشرون دولاراً ، اذا تعطل جهازه اثناء تجربتي ، وان ادفع له مبلغاً كبيراً من المال اجراً للجهاز فلم اتردد في قبول شروطه ولكني شعرت بعد دفع المبلغ الذي طلبه بان ما بقي لدي من مال قد لا يكفي للقيام بمغامرتي الكبرى .

وجلست ذات ضحى ادرس الخرائط التي لدي، لاعين المكان الذي ينبغي لي القيام فيه بهذه التجربة الخطرة ، والذي يجب ان اخرج منه بثروة عظيمة . وكان الى جانبي مساعدي الربان لوش يمدني بنصائحه الثمينة ، فدخل علينا شاب يدعى جورج كينان كنت قد تعرفت عليه منذ سنوات عدة ولم اجتمع به بعد ذلك، وقال لي انه يريد مرافقتي في مغامرتي ، فأجبته اني قد اتفقت مع جميع المساعدين والنوتية الذين انا في حاجة اليهم ، ولدي مائة طلب جديد وليس ينقصني غير غواص ماهر ، فقال انه قد ورث بعض المال وهو يريد ان يكون شريكاً لي .

والحق اني كنت في حاجة الى شريك يملك بعض المال لاني بت صفر اليدين وكنت اخشى ان تنجم نفقات جديدة لا استطيع

تامينها فأفقد كل شيء، فقلت له :

— اسمع يا جورج . اني اقبل مشاركتك على ان تدفع ثلثي النفقات، اما الارباح فتقسم بيننا مناصفة .

فوافق جورج كينان على اقتراحي دون تردد، وما هي الا اسابيع حتى كنا ننقل الجهاز الى الباخرة التي اعددناها لرحلتنا، وكان هذا الجهاز كتلة ضخمة من الحديد والفولاذ تزن ثلاثة آلاف وتسعمائة ليبرة، وتشبه انبوباً عظيماً، وقد بلغت سماكة جدرانه اصبعاً ونصف الاصبع لمقاومة ضغط الماء. وله ذراعان يتحركان بالقوة الكهربائية في جميع الاتجاهات وفي نهاية كل منهما ملزمة دقيقة حتى لتستطيع التقاط قطعة النقد الصغيرة، وقوية حتى لتبلغ قوة ضغطها خمسمائة ليبرة، وحين ينظر المرء الى ضخامة رأس الجهاز والى الطاقتين الواسعتين في هذا الرأس اللتين تشبهان عينين كبيرتين لا اهداب لهما، يخيل اليه انه يرى حيواناً جباراً من تلك الحيوانات البحرية التي تحدث عنها الكاتب الانكليزي ه. ج. ولز.

وبديهي ان هذه الآلة كانت متصلة بانابيب عظيمة تصلها بسطح البحر وتؤمن لمن يكون فيها الهواء النقي، ومزودة بمصابيح كهربائية خارجية كثيرة كفيلة بان تنير امامه اعماق البحر. اما داخلها فكان رحباً وقد توافرت فيه جميع الوسائل اللازمة لتسيير الآلة وتحريك ذراعيها وفق ما يشاء الرجل الذي في داخلها، كأنه يقود سيارة في البر كما وضع تحت متناول هذا الرجل جهاز تلفون للاتصال بالسفينة، وجهاز لتكييف الهواء، واحتياطي من الاوكسيجين يكفي لمدة ست عشرة ساعة

وقد قمت بتجربة الجهاز بنفسي في مياه البوتوماك فوجدته يختلف تماماً عن الروبوت المصنوع من الكاوتشوك، وحرياً حقاً بالوصول بمن فيه الى الاعماق دون ان يتأثر هذا بضغط الماء، ولكني كنت اخشى شيئاً واحداً، هو ان يتعرض الروبوت الحديدي في تلك الانحاء المجهولة من قعر البحر الى دوار مائي يتلف جميع الانابيب والاجهزة التي تصله بالباخرة، لان هذه الانابيب والاجهزة مهما كانت قوية فانها لا تستطيع الصمود لدوار مائي عظيم مثلما تصمد صفائح الروبوت الفولاذية السميكة .

لقد ارتعت لهذه الفكرة وتصورت الغواص المسكين وقد انقطعت صلته بالباخرة، بل بالدنيا كلها، فلبث ينتظر في سجنه حتى نفد زاده من الاوكسيجين . . ولكني لم اتوقف كثيراً عند هذه الصورة المرعبة، لئلا تمنعني عن المضي في مغامرتي، وتابعنا طريقنا في عزم واصرار .

واقترحت على شريكي ان تكون وجهتنا الى شمالي جزيرة سانت هيلانة حيث غرقت السفينة سانتا كروز بينما كانت تحمل مقداراً كبيراً من الذهب والنقد لمساعدة ملك انكلترا شارل الاول، اثناء الثورة التي ذهبت بعرشه وطوحت برأسه . واطلعته على الوثائق التي لدي بصدد هذه السفينة والموضع الصحيح الذي غرقت فيه، ولكني اضفت قائلاً ان هنالك فيما يقال لعنة حول حطام هذه السفينة، فما حاول غواص قط الهبوط اليها الا ولقي حتفه، وقد هبت في خليج مانتا ريح عاصفة على بعثتين شخصتا الى تلك المنطقة للبحث عن بقايا السانتا كروز فأغرقت مركبيهما وأودت بجميع من فيهما .

فضحك صاحبي وقال : — هيا بنا الى خليج مانتا . . الى حطام السانتا كروز !

لعنة خليج مانتا

وكنت قد تعاقدت مع غواص ماهر واحضرته معي، ولكننا لم نكد نبلغ بناما حتى التقينا هناك بالغواص الاسباني سبيك، وهو من اشهر غواصي العالم فتفاءلت بذلك وتعاقدت مع سبيك للعمل معنا . وتابعنا رحيلنا حتى بلغنا خليج مانتا حيث يرقد حطام السفينة سانتا كروز وفي جوفه من الكنوز ما يبلغ قيمته ثلاثة عشر مليون دولار . ولا بد هنا من ان نروي قصة هذه السفينة الغريق .

لقد ظلت انكلترا واسبانيا تتنازعان طوال القرن الثامن عشر ولكن بين كل حربين كانت تقوم بينهما هدنة طويلة، وحين ثار الشعب الانكليزي على ملكه بقيادة اوليفر كرومويل، وخلعه من العرش، هبت اسبانيا لمساعدة الملك الطريد، واخذت تعد في سبيل ذلك حملة عسكرية، وارسل ملك اسبانيا رسالة الى بيرو يطلب فيها من كبار التجار والمزارعين في ليما المساهمة في نفقات هذه الحملة، فجمع الاسبانيون في بيرو مقداراً كبيراً من المال وارسلوه على ظهر السفينة سانتا كروز، وغادرت هذه السفينة المرفأ في صبيحة اليوم السادس عشر من كانون الاول سنة ١٦٨٠ متجهة الى اسبانيا، فتعرض لها القرصان، وخشي الربان مواجهتهم، فاتجه بالسانتا كروز شطر بناما ولحق به مركب القرصان . ولكن السفينة المثقلة بالاحمال ما كانت لتستطيع الهرب من مطاردة المركب الخفيف السريع، فما لبث هذا ان ادركها واخذ يهددها، ولم يعد هنالك بد من خوض المعركة .

تفقد الربان سفينته فوجد رجاله عن استعداد للقتال، ولكنه وجد ايضاً حشداً من النساء والاطفال قد تجمعوا خلف كاهن السفينة

وكأنهم يلتمسون النجاة على يديه . فخفق قلبه رعباً ولم يجرأ على القتال لانه لمح بين هذا الحشد المروع زوجته وولديه .. وهجس في ضمير الرجل خاطر خيل اليه انه سينقذ هؤلاء الاحباء الذين يفتديهم بكل شيء ، فأعلن استسلام السفينة ، وقال لكبير القرصان اذ جاء مع رجاله ان يحمل مقداراً كبيراً من الذهب ، وهو على استعداد لتسليمهم اياه ولا يرجو مقابل ذلك الا ان يذهب بسفينته ومن فيها بأمان ، فكان جواب القرصان له انهم حملوه والقوا به في اليم .. ثم انقضوا على السفينة ينهبونها ويأسرون رجالها ويفتكون بكل من يحاول المقاومة منهم . وجاء دور النساء ، فاذا بالكاهن صامد امامهن يريد ان يدفع عنهن شر القتلة .. فضحك هؤلاء . وتقدموا نحو فرائسهم في شراهة ووحشية . وذعر الكاهن لهذا المشهد وصرخ فيهم :

— ايها السفاكون الاشرار . من اجل المال تقتلون وتنهبون وترتكبون المحرمات . لقد شوهت عبادة المال نفوسكم وجعلتكم عبيداً لاحط غرائزكم فما عدتم تكتفون به وانما تريدون ان تمدوا ايديكم المجرمة الى هؤلاء النساء البريئات . خذوا مالكم واذهبوا من حيث جئتم والا حلت اللعنة عليه وعليكم .

فاسترسل القرصان في الضحك . واحدقوا بالنسلء العزل . واذا بريح عاتية تهب فجأة فتدفع بالسفينة نحو خليج مانتا وترتطم بالصخر هناك ، فتتحطم وتغيب في الاعماق !

بلغنا خليج مانتا واخذنا نستعد للمغامرة الكبرى . وكانت الرياح عاصفة فانتظرنا حتى هدأت ، ثم تحرينا عن حطام السفينة وتركنا باخرتنا ترسو حيث خيل الينا ان ضالتنا هناك .

السفينة الغريق

تم الاستعداد للتجربة الخطرة ، وتهيأ كل شيء ، واخذ كل شخص مكانه لاداء المهمة التي انيطت به . وارتديت انا ثياباً صوفية اتقاء للبرد الذي لا بد ان اشعر به في غور البحر حيث يكون الماء اكثر برودة ، ودخلت في الروبوت ، واغلقت بابه علي ، وبدأت اهبط الى الاعماق :

لم اشعر بضيق ، واخذت اخاطب مدير القوة الكهربائية بالتلفون وسألته ما هو العمق الذي وصلت اليه ، فاجاب : — اثني عشر باعاً . وسألني بدوره هل ارى شيئاً غير الماء فاجبته بالنفي ، ثم قال : — انت الآن على عمق ٢٠ باعاً ، فهل تلاحظ شيئاً ؟

— كلا . وقد بدأ الظلام يسود شيئاً فشيئاً .

— هل تستطيع رؤية القاع ؟ — كلا .

— كيف ترى الماء فوقك ؟ هل هو صاف ؟

— انه ليس كثير الصفاء ، وهو قليل الخضرة في اعلاه وقاتم في اسفله وسمعت من خلال جهاز التلفون صوتاً يصرخ — خمسة وعشرون باعاً !

وفي تلك اللحظة نفسها شعرت بان الروبوت يلامس قعر البحر ويقف ، فبادرت الى انارة المصابيح فشق النور ظلمة الماء وامتد الى مسافة بعيدة منيراً قاع اليم الذي بدا لي على جمال اخاذ . ويبدو اني قد ارسلت صيحة اعجاب ، لان المدير الكهربائي سألني : — ماذا هناك يا هاري ؟ — لست استطيع الجزم بشيء . اني ارى شيئاً امامي ولكن ربما كان صخرة . ادفعوا بي الى امام . فتقدم بي الروبوت الى الامام مرة ومرة ، ثم هتفت . — هذا هو الحطام !

والحق اني قد رأيت السفينة الغريق ، وقد غرزت مقدمتها في البحر وارتفعت مؤخرتها ، فدنوت منها فرحاً وأخذت اتأمل فيها . لم اكن على يقين بانها السانتا كروز ولكني ما كدت اراها عن كثب ، حتى ايقنت بانها ان لم تكن هي نفسها فهي سفينة اسبانية اخرى من سفن القرن الثامن عشر أيضاً .

وبدأت يداي ، اويدا الروبوت الفولاذيتان على الاصح ، تتحريان في السفينة . وكان اول ما وقعت عليه مدفعان جميلان من مدافع ذلك الزمان . وقدت الروبوت الى سطح السفينة ، بينما كانت يداه تحطمان ما يعترض طريقي وتزيلان الانقاض . وشد ما شاهدت هنا وهناك من صناديق واخشاب وحدائد واوان وأثاث ، ولكني كنت ابحث عن الصناديق الحديدية التي اودع المال فيها ، ولم اوفق في العثور عليها ، وقد تعذر علي الوصول الى قسم كبير من السفينة لان هذا القسم قد انغمس بين صخرتين كبيرتين ، فخطر لي ان الجأ الى الطريقة الشائعة في انتشال حطام السفن بالديناميت ، ولكني خشيت ان تتحطم بذلك الصناديق الحديدية التي ابحث عنها ، فاكتفيت بهذا القدر من النجاح واجلت مواصلة البحث الى غد ، وطلبت من رفاقي اعادتي الى السفينة ، فما كدت ابلغها حتى فرحوا بي واخذوا يسألونني عما رأيت ، فوصفت لهم ما شاهدته ، فقال لوش : — هل تعتقد بانها السانتا كروز ؟

— لست ادري ، ولكن السفينة اسبانية وهي من سفن القرن الثامن عشر وقد عثرنا عليه في نفس المكان الذي تؤكد الوثائق التي لدينا ان السفينة سانت كروز قد غرقت فيه .

وبدا على شريكي كينان كأنه تذكر شيئاً ، فقال : — هل تعرضت في القاع لخطر ما ؟ — اي نوع من الاخطار تعني ؟

فتردد قليلاً ثم قال مبتسماً : — الا تذكر حكاية اللعنة التي حدثتني

عنها ؟ حسناً . . يبدو ان الارواح مضربة هذا اليوم.
ثم ضحك وقال : — ربما وجدنا الكنز غداً .

الكنز

عدت في اليوم التالي لمتابعة عملي وانا اكثر اطمئناناً واعظم ثقة بالنجاح ، وفيما انا اضع اصابع الديناميت في الامكنة التي عينتها لها في جوانب السفينة ، رأيت حوتاً كبير الحجم يدنو من الروبوت فيلامس بفمه الانابيب التي تصله بسطح السفينة ثم يمضي في طريقه فيزحزح الجهاز الحديدي من مكانه شيئاً ما، وما كاد يغيب عن نظري حتى عدت الى عملي فأنجزته وهممت بابلاغ ذلك الى رفاقي ليصعدوني الى سطح الباخرة، واذا بالحوت يعود وهو يتاوى ويتجه شمالا ثم يعود فيتجه يميناً،ويصعد قليلاًثم يعود الى الهبوط فادركت انه يعاني ازمة ما ، وايقنت بان الروبوت الساكن لا يمكن ان يكون هو الذي اثاره على هذا الشكل ،ونظرت من الطاقة الخلفية فاذا هنالك اخطبوط عظيم الحجم تتلوى اذرعه المتعددة وتتقد عيناه الغريبتان بصورة مرعبة. واشتبك الحيوانان الجباران في صراع رهيب لم يسبق لانسان انرآه .وكان الحوت هو البادىء بالهجوم بالرغم مما بدا عليه من ذعر ، فانقض على الاخطبوط مرات عدة محاولا ان ينهشه باسنانه الهائلة ،والاخطبوط يتحاشى الوقوع بين فكيه ولكنه يدنو منه مع ذلك شيئاً فشيئاً حتى اذا خيل اليه ان الوقت قد ازف للانتقال الى الهجوم ، اطبق عليه باذرعه القوية واخذ يعصره محاولا القضاء عليه، والحوت يتخبط دون انيستطيع الافلات من هذه الملازم الفائقة القوة والمرونة حتى لكأنها مطاط وحديد في آن واحد . ثم حمله ومضى به .

وعدت الى السفينة فأذنت للمدير الكهربائي بتفجير الالغام، واذا بحطام السانتا كروز يتطاير ويتناثر على سطح البحر .

وحين هممت بالهبوط في اليوم الثالث،دعوت سبيك الى مرافقتي ليكون شاهداً على التجربة ، فاستوى في آلة ملحقة بالجهاز وخاصة بالتصوير ، واستويت انا في الروبوت، ونزلنا الى الاعماق، ومضيت الى عملي فما هو الا قليلحتى طلبت من رفاقي ان يرسلوا الي آلةتحمل الصندوق لاني وقعت على الكنز .

صعد الصندوق الى ظهر السفينة وبقيت انتظر في جوف الماء، واذا باصحابي يهتفون بعد قليل : — انها اوان ذهبية !

ثم تعالت ضجتهم ، واخذوا يتراكضون، وسمعت من خلال جهاز التلفون ضربات مطارق واصوات لاغطة،فسألت : ماذا هناك؟ فأجابني المدير الكهربائي بكآبة : — انها ليست آوان ذهبية ولكنهامغطاة بقشرة رقيقة من الذهب على طريقة القرن السابع عشر.

فتولاني الجزع ، وعاودت البحث في انحاء السفينة ، وفيما انا اقوم بعملي في كثير من الالم وقليل من الرجاء ، رأيت وحشاً رهيباً يتقدم نحوي وما كاد يدنو مني حتى عرفت انه اخطبوط ولكنه اضخم اخطبوط يمكن ان يتصوره المرء . لقد اقبل هذا الوحش وهو يتلوى مسرعاً ليرى ما نصنع انا في الرابوت وسبيك في آلته الثانية، فتذكرت شريكي جورج واللوحات التي رأيتها في طفولتي لوحوش ترصد الكنوز ، وقلت ان كانت هنالك لعنة ترصد كنوز السانتا كروز حقاً ، فان هذا الوحش هو اشنع لعنة واكثرها رهبة !

واحاط الاخطبوط بالآلة التي جلس فيها زميلي سبيك وقبض عليها بأذرعه الجبارة واخذ يهزها ويحاول تحطيمها . فاستولى علي الذكر ودنوت منه ومددت يدي الروبوت الفولاذيتين وقبضت بهما على احدى الاذرع الوحشية وضغطت عليها بقوة خمسمائة ليبرة فانقطعت ولكن الاخطبوط لم يتخل مع ذلك عن فريسته، واكتفى بأن ارسل حواليه مادة سوداء صبغت الماء واحالته الى ظلام .

وناشدت رفاقي بالتلفون ان يصعدوا بنا حالا،وعاودت هجومي على الحيوان اللعين فقطعت ذراعاً ثانية من اذرعته ثم ثالثة،وهو يأبى التخلي عن الآلة الجامدة التي حسبها صيداً نفيساً،ولم يفعل ذلك ويلوذ بالفرار الا عندما بلغنا سطح الماء ولم يبق من اذرعته الثماني سوى ثلاث.

وكان سبيك فاقداً وعيه ، فلما افاق صرخ دهشاً : — يا الهي ان هذا الاخطبوط في حجم باخرة !

فقلت مؤكداً : — وباخرة كبيرة ايضاً !

وعبثاً عدت في الايام التالية الى بقايا السفينة ابحث فيها عن ضالتي،فاني لم اجد اثراً للنقود الذهبية. ولكن فيما انا اتحرى المرة الاخيرة وقد قطعت الرجاء ، وقع نظري على صندوق . . صندوق حديدي فاستبد بي الفرح واخرجت الصندوق الى الباخرة. واذا به مفعم بالنقود الذهبية .

واحتفلنا تلك الليلة باكتشافنا،ولكني كنت في شك من اننا قد اكتشفنا حطام السانتا كروز،لان الوثائق التي لاريب في صحتها تؤكد ان صندوق هذه السفينة كان يحتوي اضعاف المال الذي وجدناه في الصندوق الذي عثرنا عليه.

قال شريكي جورج : — اذا كان ما تقوله حقاً فلنجدد البحث اذن عن بقايا السانتا كروز !

فقلت : نعم . لسوف اجدد البحث عنها،ولكن في وقت آخر، اما الآن فيكفي اننا لم نعد من رحلتنا خائبين !



٢٣ أيلول ١٩٤٩ – نشر الرئيس ترومان بياناً خاصاً قال فيه ان الولايات المتحدة جمعت من الادلة ما يثبت ان انفجاراً ذرياً قد حصل في روسيا منذ اسابيع قليلة . وان هذا التطور الجديد في الحقل الذري يؤكد مرة ثانية انه من الواجب فرض رقابة دولية على النشاط الذري .

– القى المسيو فيشنسكي خطاباً في هيئة الامم المتحدة دعا فيه الدول الخمس الكبرى الى عقد ميثاق لتعزيز السلم وناشد الجمعية العمومية ان تقرر منع استعمال القنبلة الذرية .

٢٦ – اعلن رئيس لجنة المخصصات في مجلس النواب الاميركي ان القوات الاميركية مستعدة لصد اي عدوان يقع عليها . واكد ان امتلاك روسيا للقنبلة لا يعني اقتراب الحرب .

– هاجم وزير خارجية يوغسلافيا السياسة الروسية ازاء حكومة بلغراد وقال اذا كانت روسيا تريد السلام فعليها ان تشرع حالا بانهاء النزاع القائم بينها وبين المارشال تيتو .

٢٧ – توفي الاستاذ اميل اده رئيس الجمهورية اللبنانية سابقاً وعميد الكتلة الوطنية .

– كذب المستر اتلي في مجلس العموم المزاعم القائلة ان روسيا قد فاقت الولايات المتحدة في صنع القنابل الذرية وناشد روسيا ان توافق على مشروع الاشراف الدولي على الذرة .

٢٨ – صرح السنتور مكماهون رئيس لجنة الطاقة الذرية المختلطة في مجلس النواب والشيوخ الاميركيين انه بات من المرجح ان يطلب الى مجلس الكونغرس اعتماد مبالغ اخرى من المال لبرنامج التسلح الاميركي كنتيجة لامتلاك روسيا القنبلة الذرية .

٢٩ – الغت روسيا معاهدة الصداقة وعدم الاعتداء المبرمة في ١٩٤٥ بينها وبين يوغوسلافيا

٣٠ – نقضت المجر وبولندا معاهدة الصداقة المعقودة بينها وبين يوغوسلافيا .

– انتخب ماوتسي تونغ زعيم الحزب الشيوعي لمنصب رئاسة الحكومة المركزية الصينية الشيوعية . وقد انتخبت ارملة الزعيم الصيني صن يات صن نائبة للرئيس .

اول تشرين الاول – نقضت بلغاريا معاهدة الصداقة بينها وبين يوغسلافيا .

– انذر المرشال تيتو روسيا بتحمل مسؤولية العواقب التي قد تنتج عن الغاء معاهدة الصداقة والمساعدة المتبادلة مع يوغسلافيا وعن تنقلات الجيوش الروسية على الحدود اليوغسلافية .

٣ – اتهم راديو موسكو الدول الغربية بتجزئة المانيا بحجة السير بها الى الديموقراطية .

– اذاع راديو بلغراد ان خمسين فرقة روسية قد احتشدت في البلدان المتاخمة ليوغوسلافيا .

٤ – نقضت تشيكوسلوفاكيا معاهدة الصداقة المعقودة بينها وبين يوغوسلافيا .

– قدمت روسيا مذكرة احتجاج الى الدول الغربية الثلاث على تأليف حكومة منفصلة تبيح تقسيم المانيا .

٥ – اذاع الروس انهم سيوقعون معاهدة صلح مع الحكومة المركزية الالمانية الشيوعية التي ستتألف في المانيا الشرقية ويسحبون بعد ذلك جيوش الاحتلال الروسية .

٦ – قبل المسيو اوريول رئيس الجمهورية الفرنسية استقالة المسيو كوي رئيس الوزارة .

٧ – برزت الى الوجود دولة المانيا الشرقية وقدقرر مجلس الشعب الالماني في المنطقة السوفيانية ان يحول نفسه الى مجلس نواب .

٨ – تهاجم القوات الشيوعية الصينية محطة « فان سيانغ » للسكة الحديدية وهي تبعد ١٢٠ كيلومترا عن كانتون عاصمة الوطنيين . وقد قررت الحكومة الوطنية اعتقال مدام صان يات صن ارملة مؤسس الجمهورية الصينية .

١٠ – صرحت المصادر الشيوعية التشكوسلوفاكية في براغ بان حركة تطهير واسعة النطاق تجري الآن في تشكوسلوفاكيا

١١ – انتخب ويلهلم بيك رئيساً لدولة المانيا الشرقية .

١٢ – صرح المارشال مونتغومري بان تقدماً ملحوظاً تم الوصول اليه في تنظيم دول غربي اوروبا .

١٣ – وافقت اللجنة الفرعية التابعة للجنة السياسية لهيئة الامم على المبدأ القائل بانشاء ليبيا موحدة ذات سيادة ، على ان تسلم بريطانيا زمام الحكم الى الليبيين في اول كانون الثاني عام ١٩٥٢ .

١٤ – اصبح الخطر محدقاً بهونكونغ المستعمرة البريطانية الصينية وقد صرح قائد الجيش فيها ان بريطانيا مصممة على الدفاع ضد اي كان .

١٥ – احتفلت مصر احتفالا رسمياً بالغاء المحاكم المختلطة وهي التي انشئت في عهد الخديوي اسماعيل والغيت بمقتضى معاهدة منترو ، وقد تسلم مفاتيحها ولي العهد نائباً عن الملك فاروق .

– نفذ في بودابست حكم الاعدام شنقاً بالمسيو راجك وزير خارجية المجر السابق واثنين آخرين وهم الذين ادينوا بتهمة التجسس والخيانة العظمى والتعاون مع المارشال تيتو .

١٧ – اخفق جول موك ثانية في مشروعه لتأليف حكومة فرنسية ائتلافية .

١٨ – انذر المارشال تيتو روسيا بانه اذا نشبت الحرب في يوغسلافيا فذلك لا يعني انها ستنحصر فيها ولكنها تكون حرباً عالمية .

١٩ – توفي مارشال الاتحاد السوفياتي فيدور ايفانوفيتش تولبوخين احد الابطال المشاهير في الحرب الاخيرة .

٢٠ – فازت يوغسلافيا بعضوية مجلس الامن الدولي ضد تشيكوسلوفكيا ، وقد احتج وزير خارجية السوفيات فيشنسكي قائلا بان حكومته لا يمكن ان تعتبر هذا الانتخاب .

٢١ – نفت الحكومة المجرية الانباء التي اذاعتها يوغوسلافيا عن احتشاد قوات مجرية على الحدود .

٢٢ – اشاعت المصادر الدبلوماسية الغربية بان روسيا شيدت مراكز للصواريخ على الحدود الرومانية اليوغوسلافية وحولت عددا من الجزر الالبانية الى قواعد للغواصات والطوربيد .

٢٣ – وعد وزير الدفاع الاميركي مجلس الشيوخ بأن اي سر عسكري اميركي لن يفضى به الى اي بلد بين وزرائه احد الاعضاء الشيوعيين .

٢٦ – تجمع شركات الانباء العالمية على ان البلقان اصبح في الاسابيع الاخيرة اخطر منطقة في اوروبا ، فقد كثرت فيه الحوادث الداخلية والخارجية واصبح حدوث الانفجار امرا متوقعاً بسبب توتر العلاقات بين دوله .

مطابع صادر وريحاني – تلفون ٦٢ – ٦٨